من أحكام وآداب
سورة المجادلة
"دراسة موضوعية "

إعداد

د/ محمد عبد الفتاح عبد الرازق سلام

المدرس بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية - طنطا

سورة المجادلة أحكام وآداب "دراسة موضوعية "

محمد عبد الفتاح عبد الرازق سلام

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية – طنطا – جامعة الأزهر – مصر

البريد الإلكتروني : mohamedabdelfattah.el.143@azhar.edu.eg

الملخص :

الأسرة لبنة من لبنات المجتمع فكلما قامت الأسر على عقيدة إسلامية صحيحة، والتزمت بالآداب الإسلامية السامية، وجدنا مجتمعاً قوياً سليماً متماسكاً. ولما كانت سورة المجادلة تعالج ما يصيب الأسرة من مشكلات في الجانب التشريعي، وما يحتاجه المجتمع من آداب سامية تقوي العلاقة بين أفراده وتزيل الأحقاد بينهم – النهي عن المناجاة، وآداب المجلس وغيرها – كما تلفت الأنظار إلى الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، وتحذر من موالاتهم ومودتهم. ولا أدعي فضل السبق في تناول هذه الموضوعات التي جاءت بها السورة الكريمة، وإنما هي محاولة يسيرة؛ لإبراز هذه الجوانب التي يحتاج إليها المجتمع المسلم في حياته العملية في هذا العصر بقدر ما يتناسب مع حجم هذا البحث. وسأعرض لهذه الأحكام والآداب التي اشتملت عليها السورة الكريمة. والأحكام الواردة في سورة المجادلة **(حكم الظهار وكفارته في الإسلام – حكم موالاة غير المؤمنين) والآداب التي اشتملت عليها السورة (أدب المناجاة في الإسلام – أدب إلقاء السلام – أدب المجلس)**. وقد ذكر لفظ الجلالة (الله) في كل آية من آيات السورة الكريمة، ولم يتكرر في غيرها من سور القرآن الكريم . وعالجت سورة المجادلة قضية الظهار معالجة شرعية فحلت مشكلة كانت تؤرق الأسرة المسلمة والمجتمع ؛لأنها كانت منتشرة في المجتمع الجاهلي، وكان أهل الجاهلية يعدون الظهار طلاقاً، فجعلت الشريعة الإسلامية الكفارة لمن

يظاهر من زوجته على التفصيل المذكور في الآيات الكريمة. ووضعت السورة الكريمة العلاج الناجع والدواء الشافي للمناجاة التي توغر الصدور، وتضطرب لها القلوب، وهي المناجاة بالإثم والعدوان، وما فيه معصية الله ورسوله، واستبدالها بالمناجاة بالبر والتقوى، وما فيه طاعة الله ورسوله. والتوجيه إلى التحلي بالآداب الإسلامية مثل: إفشاء السلام، وأدب التوسعة للقادمين، والسلام على الجالسين، والقيام لأصحاب الجاه والسلطان، وأن الذي سبق إلى مكان في المجلس فهو أحق به إلا أن يأذن هو فيه.

الكلمات المفتاحية: سورة المجادلة – أحكام وآداب – دراسة موضوعية

Surat Al-Mujadalah Rulings and Etiquette "Objective Study"

Mohamed Abdel-Fattah Abdel-Razek Salam
Department of Interpretation and Quran Sciences - Faculty of Fundamentals of Religion and Islamic Call - Tanta - Al-Azhar University - Egypt
E-mail: mohamedabdelfattah.el.143@azhar.edu.eg

Abstract:
The family is one of the building blocks of society. Whenever families are based on a sound Islamic belief, and adhere to sublime Islamic morals, we find a strong, sound and cohesive society. And since Surat Al-Mujadalah deals with the problems that afflict the family in the legislative aspect, and what society needs in terms of sublime morals that strengthen the relationship between its members and remove hatred between them - the prohibition of monologues, the etiquette of councils, etc. . I do not claim to be the first to deal with these topics that were mentioned in the noble Surah, but rather it is an easy attempt. To highlight these aspects that the Muslim community needs in its practical life in this era, in proportion to the size of this research. I will present these provisions and etiquette that were included in the noble surah. And the provisions contained in Surat Al-Mujadalah (the rule of zihaar and its expiation in Islam - the rule of loyalty to non-believers) and the etiquette included in the surah (the etiquette of communicating in Islam - the etiquette of giving peace - the etiquette of the council). The word majesty (Allah) was mentioned in every verse of the noble surah, and it was not repeated in other surahs of the Holy Qur'an. Surat Al-Mujadalah dealt with the issue of zihaar in a legal way, so it solved a problem that was bothering the Muslim family and society, because it was widespread in the pre-Islamic society, and the people of Jahiliyyah considered zihaar as

divorce, so the Islamic Sharia made expiation for the one who appears from his wife according to the detail mentioned in the noble verses. The Holy Surah put the effective treatment and the healing medicine for the monologue that makes the breasts tremble, and the hearts are troubled by it, which is the soliloquy of sin and aggression, and that which contains disobedience to God and His Messenger, and its replacement by the soliloquy with righteousness and piety, and that which contains obedience to God and His Messenger. And guidance to show Islamic etiquette, such as: spreading peace, the etiquette of expansion to those who come, peace to those sitting, and standing up for the people of prestige and authority, and that the one who has preceded to a place in the council is more entitled to it, unless he gives permission in it.

Keywords: Surat Al-Mujadalah - Rulings and Etiquette - An objective study

المقدمـــــــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديُ سيدنا محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النَّار.

من أعظم نعم الله التي لاتُعدّ ولا تحصى، وأجلَّها نعمةُ الهداية للإيمان، ونعمةُ التوفيق لسلوك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١)

فإن أحق ما يشتغل به الباحثون، وأفضل ما يتسابق فيه المتسابقون، ويتنافس فيه المتنافسون، تلاوة كتاب الله تعالى ومدار سته، ومداومة البحث فيه، والغوص في أعماقه بحثاً عن لآلئه، والكشف عن علومه وحقائقه، وإظهار إعجازه، والدفاع عن ساحته ونفي الشكوك والريب عنه، والقرآن بحر لا يدرك غوره، ولا تنفد درره، ولا تنقضي عجائبه (٢)، تكلم على العقائد والأحكام، والآداب والأخلاق، ومن هذا المنطلق وجدت سورة المجادلة اشتملت على عقائد وأحكام تتعلق بالأسرة المسلمة، والمجتمع، وآداب اجتماعية _ كغيرها من

(١) سورة النسا ء: الآية (٦٩)

(٢) من مقدمة كتاب النبأ العظيم للشيخ محمد عبد الله دراز (ص١٤)

سور القرآن الكريم _ تدعو الحاجة إليها. فالأسرة لبنة من لبنات المجتمع فكلما قامت الأسر على عقيدة إسلامية صحيحة، والتزمت بالآداب الإسلامية السامية، وجدنا مجتمعاً قوياً سليماً. ولما كانت سورة المجادلة تعالج ما يصيب الأسرة من مشكلات في الجانب التشريعي، وما يحتاجه المجتمع من آداب سامية تقوي العلاقة بين أفراده وتزيل الأحقاد بينهم – النهي عن المناجاة، وآداب المجلس وغيرها – كما تلفت الأنظار إلى الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، وتحذر من موالاتهم ومودتهم. ولا أدعي فضل السبق في تناول هذه الموضوعات التي جاءت بها السورة الكريمة، وإنما هي محاولة يسيرة؛ لإبراز هذه الجوانب التي يحتاج إليها المجتمع المسلم في حياته العملية في هذا العصر بقدر ما يتناسب مع حجم هذا البحث. وسأعرض لهذه الأحكام والآداب التي اشتملت عليها السورة الكريمة.

ويتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين وخاتمة:

- **أما المقدمة: فتشتمل على: أهمية الموضوع، وخطة البحث، وأما التمهيد فيشتمل على: التعريف بالسورة الكريمة.**
- **التعريف بمفردات عنوان البحث.**

وأما المبحث الأول فعنوانه: الأحكام الواردة في سورة المجادلة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم الظهار وكفارته في الإسلام

المطلب الثاني: حكم موالاة غير المؤمنين.

وأما المبحث الثاني فعنوانه: الآداب التي اشتملت عليها السورة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أدب المناجاة في الإسلام.

المطلب الثاني: أدب إلقاء السلام

المطلب الثالث: أدب المجلس.

والله أسأل أن يوفقني إلى ما فيه الخير والصواب، وأن يهديني إلى الحق والرشاد، فإن كنت قد وفقت فمن الله التوفيق والسداد، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

التمهيد فيشتمل على:

- **التعريف بالسورة الكريمة.**
- **التعريف بمفردات عنوان البحث.**

أولاً: التعريف بسورة المجادلة: هذه السورة أول النصف الثاني من القرآن، باعتبار عدد السور، فهي الثامنة والخمسون، وهي أول العشر الأخير من القرآن باعتبار عدد أجزائه.

وقد ذكر لفظ الجلالة (الله) في كل آية من آيات السورة الكريمة. قال الإمام بدر الدين الزركشي تحت عنوان فائدة: وسورة: كل آية منها فيها اسمه تعالى وهي سورة المجادلة[1].

وتوجد سور لم يذكر فيها هذا الاسم الجليل (الله) مثل سورة: القلم، والقيامة، والمرسلات، والنبأ، والانفطار.

ومن تمام هذه الفائدة أقول: تكرر لفظ الجلالة في سورة المجادلة: واحداً وأربعين مرة وجاء على النحو التالي:

أ- لفظ الجلالة في البسملة.

(١) البرهان في علوم القرآن (٢٥٤/١) ت: محمد ابو الفضل إبراهيم. ط. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ط. الأولى: ١٣٧٦هـ/١٩٥٧ م

ب- آيات ذُكر فيها لفظ الجلالة: أربع مرات في الآية الأولى، وثلاث مرات في الآية الحادية عشرة، وخمس مرات في الآية الأخيرة منها.

ت- بقية الآيات: تكرر لفظ الجلالة في كل منها المرة، والمرتين.

قال الإمام برهان الدين البقاعي: {وتكرير الاسم الأعظم الجامع في القصة وجميع السورة، تكريراً لم يكن في سواها، بحيث لم تخل منه آية، وأما الآيات التي تكرر في كل منها المرتين فأكثر، فكثيرة[١].

وبعد هذه الفائدة، أنتقل للتعريف بالسورة الكريمة متناولاً فيه ما يلي:

اسم السورة، وسر التسمية بهذا الاسم:

قال الإمام السيوطي: قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر. ومن ذلك: الفاتحة: وقد وقفت لها على نَيِّف وعشرين اسماً، وذلك يدل على شرفها فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى[٢].

وسورة المجادلة سميت بأكثر من اسم، وهي كالتالي:

أ- الاسم الذي اشتهرت به هذه السورة الكريمة: (المُجَادِلة) بضم الميم وفتح الجيم وكسر الدال، و(المُجَادَلة) بفتح الدال، وهو الاسم التوقيفي الموجود في المصاحف، وسر التسمية بهذا الاسم؛ لأنها جاءت مشتملة على قصة

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٦٨/٣) ط. مكتبة المعارف – الرياض ط. الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(١٨٧/١)ت محمد أبو الفضل إبراهيم . ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب المصرية العامة للكتاب ط. بدون رقم: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م. والنَّيِّفُ: من واحد إلى ثلاثة. يُخَفَّف ويُشَدَّد ولا يقال (نيف) إلا بعد عقد، عَشَرَةٌ ونَيِّف ومائةٌ ونَيِّفٌ. المحيط في اللغة لابن عباد (٤٧١/٢).

المرأة التي جاءت تجادل رسول الله ﷺ وهي خَوْلة بنت ثعلبة [1]التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت[2] وافتتحت السورة بها.

ب- وسميت في مصحف أُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه: سورة الظهار[3].

وجاءت هذه التسمية، لذكر واقعة الظهار فيها، وبيان حكمه في أول هذه السورة الكريمة على ما جاء في سبب نزولها في قصة المرأة التي ظاهر منها زوجها.

ت- وتسمى أيضاً: بسورة (قد سمع)؛ وذلك لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[4]، قال الإمام الألوسي – عن سر تسمية السورة بالمجادلة – ما نصه: {بفتح الدال وكسرها، والثاني هو المعروف، وتسمى سورة- قد سمع- وسميت في مصحف أبيّ رضي

(١)خولة بنت مالك بن ثعلبة بنت أصرم بن فهر بن عمرو بن عوف، وهي صحابية من الأنصار قالت: فيّ واللَّه وفي أوس بن الصامت أنزل اللَّه عز وجل صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده، وكان شيخا. ينظر الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني (١١٤/٨). ت: عادل احمد، وعلي معوض ط. دار الكتب العلمية. ط. ١٤١٥هـ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١٨٣٠/٤).

(٢)أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن الخزرج الأنصاري، أخو عبادة بن الصامت. ذكروه فيمن شهد بدرا والمشاهد. مات في خلافة عثمان رضي الله عنه عن خمس وثمانين سنة. ينظر الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠٢/١)

(٣) الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة (٣٨٨/١)، والإتقان للسيوطي (١٩٥/١)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٥/٢٨) ط. الدار التونسية، بدون رقم طبعة ١٩٨٤م

(٤) سورة المجادلة الآية ١.

الله تعالى عنه الظهار}[١]، وهذا من المصاحف الخاصة التي كتبها بعض الصحابة لأنفسهم.

قال الطاهر بن عاشور: ووجه تسميتها "سورة المجادلة" لأنها افتتحت بقضية مجادلة امرأة أوس بن الصامت لدى النبيء صلى الله عليه وسلم في شأن مظاهرة زوجها[٢].

سبب نزول صدر السورة الكريمة:

ذكر المفسرون في سبب نزول أول هذه السورة الكريمة: أنها نزلت في قصة المرأة التي جاءت تجادل في شأن زوجها وحكم الظهار الذي وقع منه عليها.

أخرج الإمام البخاري تعليقاً[٣] عن الأعمش عن تميم عن عروة عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات"

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود الألوسي (١٩٧/١٤) ت: علي عبد الباري عطية ط. دار الكتب العلمية. بيروت ط. أولى ١٤١٥هـ.

(٢) التحرير والتنوير (٥/٢٨)

(٣) صحيح البخاري (١١٧/٩) كتاب التوحيد –باب قوله تعالى (وكان الله سميعاً بصيراً) النساء: ١٣٤. قال الإمام بدر الدين العيني: ووصل هذا التعليق أحمد والنسائي باللفظ المذكور هنا، وأخرجه ابن ماجه من رواية أبي عبيدة بن معن عن الأعمش بلفظ: تبارك الذي وسع سمعه كل شي، إني أسمع كلام خولة، ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله وهي تقول: أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكوا إليك، فما برحت حتى نزل جبريل، عليه السلام، بهؤلاء الآيات: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩٢/٢٥).

فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ :﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[1].

وذكر الإمام الواحدي بسنده عن السيدة عائشة أيضاً قالت : تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سمعه كل شي، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ[2]، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رسول اللَّه ﷺ، وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْلَى شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ قَالَتْ: فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ:﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾[3].

وأخرج الإمام أبو داود بسنده عن خُوَيلةَ بنتِ مالك بنِ ثعلبة، قالت: ظَاهَرَ مِني زوجي أوْس بنُ الصَامِت[4]، فجئتُ رسولَ الله ﷺأشكو إليه، ورسولُ الله ﷺ يجَادِلُني فيه، ويقول: "اتقي الله، فإنه ابنُ عَمكِ" فما بَرِحتُ حتى نزل القرآن﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى الفرض، فقال: "يُعتِقُ رقَبةً" قالت: لا يَجِدُ، قال: "فَيَصُومُ شَهْرَيْنِ متتابعين" قالت: يا رسولَ الله،

(١) صحيح البخاري (١١٧/٩)، كتاب التوحيد، باب: ١٩ تحقيق محمد زهير ناصر ط. دار النجاة. ط. أولى ١٤٢٢هـ، ينظر فتح الباري ٣٨٤/١٣. وابن ماجة في سننه (٦٦٦/١) كتاب الطلاق باب الظهار، محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار الفكر بدون رقم وتاريخ.

(٢) سبق التعريف بها في ص٣

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي (٤٢٧/١) ت: كمال بسيوني زغلول ط. دار الكتب العلمية بيروت ط. أولى ١٤١١هـ، وذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٧ /٢٥٨، ط. دار الحديث ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م. وأخرجه المستدرك للحاكم (٥٢٣/٢) وقال حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الحافظ الذهبي.

(٤) سبق التعريف به في ص٣

إنه شيخ كبير ما بِهِ مِن صيامٍ، قال: "فَلْيُطْعِمْ سِتينَ مسكِيناً" قالت: ما عِندهُ مِن شيءٍ يتصدَّقُ به، قالت: فأُتِيَ ساعتئذٍ بعَرَقٍ مِنْ تمرٍ، قلتُ: يا رسولَ الله، فإني أُعينُه بعرَقٍ آخر، قال: "قد أحسنتِ، اذهبي فأطْعِمِي بها عنه ستينَ مسكيناً، وارجعي إلى ابنِ عمك" قال: والعَرَقُ سِتون صاعاً[(١)]. وصرحت هذه الرواية بذكر كفارة الظهار. كما سيأتي تفصيلها في المبحث الأول.

ويقوي هذا السبب ما ورد من مرور سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بخولة بنت ثعلبة في فترة خلافته.

قال أبو عمر بن عبد البر: وروينا من وجوه عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه خرج ومعه الناس، فمر بعجوز، فاستوقفته، فوقف، فجعل يحدثها وتحدثه، فَقَالَ له رجل: يَا أمير المؤمنين، حبست الناس عَلَى هذه العجوز! فَقَالَ: ويلك! تدري من هي؟ هذه امرأة سمع اللَّه شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل اللَّه فِيهَا: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ في زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلَى الله﴾، والله لو أنها وقفت إِلَى الليل مَا فارقتها إلا للصلاة ثم أرجع إليها"[(٢)].

(١) السنن لأبي داود (٥٣٧/٣) كتاب الطلاق، باب الظهار: ت شعيب الأرنؤوط. قال المحقق: صحيح لغيره. (والعَرَق ستون صاعاً) لم يذكر هذه الزيادة غيره ممن أخرج هذا الحديث من الأئمة. منهم الإمام أحمد في مسنده مطولاً (٥٣٧/٣) ت شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل، ط. دار الرسالة العالمية ط. أولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م. والصحيح أن العَرَق: مكيال يُساوي خمسة عشر صاعاً.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٨٣٠/٤)، وذكره القرطبي في تفسيره (٢٦٩/١٧).

وأما عن نزول فاتحة السورة في قصة سلمة بن صخر الأنصاري[1] فلا تعد سبباً لنزول الآيات في شأن صخر، فإن ظهاره كان خاصاً في شهر رمضان، وهو الظهار المؤقت.

وذكر قصة سلمة بن صخر عن نفسه : الإمام الترمذي بسنده عن سَلَمَةَ بْنِ صَخْرٍ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً قَدْ أُوتِيتُ مِنْ جِمَاعِ النِّسَاءِ مَا لَمْ يُؤْتَ غَيْرِي، فَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ تَظَاهَرْتُ مِنْ امْرَأَتِي حَتَّى يَنْسَلِخَ رَمَضَانُ فَرَقًا مِنْ أَنْ أُصِيبَ مِنْهَا فِي لَيْلَتِي فَأَتَتَابَعَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ يُدْرِكَنِي النَّهَارُ وَأَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَنْزِعَ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَخْدُمُنِي ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ تَكَشَّفَ لِي مِنْهَا شَيْءٌ فَوَثَبْتُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَى قَوْمِي فَأَخْبَرْتُهُمْ خَبَرِي فَقُلْتُ: انْطَلِقُوا مَعِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأُخْبِرَهُ بِأَمْرِي، فَقَالُوا: لاَ وَاللَّهِ لاَ نَفْعَلُ، نَتَخَوَّفُ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُرْآنٌ أَوْ يَقُولَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَةً يَبْقَى عَلَيْنَا عَارُهَا، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ. قَالَ: فَخَرَجْتُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَنْتَ بِذَاكَ؟ قُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ. قَالَ: أَنْتَ بِذَاكَ؟ قُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ. قَالَ: أَنْتَ بِذَاكَ؟ قُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ، وَهَا أَنَا ذَا فَأَمْضِ فِيَّ حُكْمَ اللهِ فَإِنِّي صَابِرٌ لِذَلِكَ. قَالَ: أَعْتِقْ رَقَبَةً. قَالَ: فَضَرَبْتُ صَفْحَةَ عُنُقِي بِيدي فقلت: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ غَيْرَهَا. قَالَ: فَصُمْ شَهْرَيْنِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَهَلْ أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلاَّ فِي الصِّيَامِ. قَالَ: فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا: قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَقَدْ بِتْنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ وَحْشَى، مَا لَنَا عَشَاءٌ. قَالَ: اذْهَبْ إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي

(١) سلمة بن صخر بن سلمان بن الصمة بن الحارث بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن عضب بن جشم بن الخزرج الخزرجي– كان يقال له البياضي، لأنه كان حالفهم. ويقال سلمان بن صخر. وسلمة أصح ودعوتهم في بني بياضة فلذلك يقال له البياضي وبَيَاضَةُ: بَطْنٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ. ينظر الإصابة في تمييز الصحابة (١٢٦/٣)، تهذيب التهذيب (١٤٧/٤)

زُرَيْقٍ، فَقُلْ لَهُ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْكَ فَأَطْعِمْ عَنْكَ مِنْهَا وَسْقًا سِتِّينَ مِسْكِينًا، ثُمَّ اسْتَعِنْ بِسَائِرِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى عِيَالِكَ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي، فَقُلْتُ: وَجَدْتُ عِنْدَكُمُ الضِّيقَ وَسُوءَ الرَّأْيِ، وَوَجَدْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ السَّعَةَ وَالبَرَكَةَ، أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ فَادْفَعُوهَا إِلَيَّ، فَدَفَعُوهَا إِلَيَّ[١].

وعلى ما تقدم في هذه الرواية يظهر أن: الراجح في سبب نزول أول السورة الكريمة: قصة خولة بنت ثعلبة الأنصارية الخزرجية الصحابية رضي الله تعالى عنها، وزوجها أوس بن الصامت كما تقدم في رواية الإمام البخاري. فإنها تدل على أنها كانت قبل قصة سلمة بن صخر. وأيضاً الآيات الواردة في السورة الكريمة جاءت في شأن المرأة خولة بنت ثعلبة، ولم ترد في شأن صخر.

قال الحافظ ابن حجر: الراجح: أنها خولة بنت ثعلبة، وأنه أول ظهار كان في الإسلام[٢].

قال الحافظ ابن كثير: وظاهر السياق أن هذه القصة – يعني قصة سلمة بن صخر –كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خولة بنت ثعلبة. ثم قال بعدما ذكر الروايات الواردة في سبب نزولها: {هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كانت سبب النزول، ولكن أُمر بما أنزل الله في هذه السورة: من العتق أو الصيام أو الإطعام}[٣].

---

(١) سنن الترمذي (٢٥٨/٥) ٥٨ باب ومن سورة المجادلة. ت بشار عواد، ط. دار الرسالة، ط. أولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م. وقال هذا حديث حسن. وقال الألباني عنه (حسن)، وابن ماجة في سننه (٦٦٥/١/ح٢٠٦٢) وصححه الألباني. والدارقطني في سننه (٣١٦/٣/ح٢٦٠)

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤٣٣/٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٨/٨) ت: محمد حسين، ط. دار الكتب العلمية ط. أولى ١٤١٩هـ

وعلى هذا فأول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وامرأته خولة بنت ثعلبة.

قال العلامة الألوسي: {والأكثرون على أنها خولة بنت ثعلبة بن مالك الخزرجية، وأكثر الرواة على أن الزوج في هذه النازلة أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وقيل: هو سلمة بن صخر الانصاري، والحق أن لهذا قصة أخرى، والآية نزلت في خولة وزوجها أوس}[1].

ويتضح مما سبق: أن الصحيح في سبب نزول صدر سورة المجادلة: قصة خولة بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت.

مناسبة السورة لما قبلها:

وجه مناسبة سورة المجادلة لما قبلها ألا وهي سورة الحديد: أن سورة الحديد ختمت بذكر فضل الله ﷻ على عباده بقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2] فناسب أن تكون فاتحة سورة المجادلة بيان شيء من ذلك الفضل الإلهي الذي يفيض دائماً على عباده وخصوصاً في وقت الحاجة الشديدة، ومن هذا الفضل تشريع أحكام الظهار، والمحافظة على استمرار الحياة الزوجية بعد أن كانت تحرم المرأة به على زوجها في الجاهلية.

وبين الإمام السيوطي المناسبة بين فاتحة سورة الحديد، وفاتحة سورة المجادلة قائلاً: {لما كان في مطلع الحديد ذكر صفاته الجلية، ومنها: الظاهر والباطن وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ

(١) تفسير روح المعاني (١٤/١٩٨).

(٢) سورة الحديد في الآية: ٢٩.

مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾[١]، افتتح هذه بذكر أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه ﷺ}[٢].

وعلى هذا تظهر المناسبة بين فاتحة السورتين، وأيضاً بين فاتحة المجادلة وخاتمة سورة الحديد.

مناسبة فاتحة سورة المجادلة لخاتمتها: جاء في أولها ذكر من سمع الله من أوليائه، في قوله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) [٣]، وفي آخرها ذكر من رضي الله عنه من أحبائه، في قوله (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) [٤])[٥].

مكان نزول السورة الكريمة وتاريخ نزولها: نزلت هذه السورة في المدينة أي بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فهي سورة مدنية في قول جميع المفسرين إلا ما كان من رواية عن عطاء أن العشر آيات الأول مدنية، وباقي آيات السورة مكية. وقال محمد بن السائب الكلبي: نزلت جميعها بالمدينة غير قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ نزلت بمكة[٦].

---

(١) نفس السورة في الآية: ٤.

(٢) تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (ص١٢٢) ت: عبد القادر عطا، ط. دار الكتب العلمية، ط. أولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي (٣٣٢/١٩) ط. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ.

(٣) سورة المجادلة في الآية :١.

(٤) سورة المجادلة في الآية :٢٢.

(٥) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي (ص: ٧٠) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٨/١٧)، طبعة دار الحديث ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة المجادلة بالمدينة[١].

أقول: قد ورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن هذه الآية– أعني قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) – نزلت في المنافقين، وعن قتادة ومجاهد: أنها نزلت في اليهود، وعلى ذلك تكون السورة كلها مدنية[٢]، وذلك يدل على أن النفاق ظهر بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة. وأيضاً اليهود كانوا يسكنون في أطراف المدينة قبل الهجرة، وعلى ما تقدم يمكن القول بأنها من السور المدنية كما قال الحافظ ابن كثير عنها: إنها مدنية[٣]، ولم يذكر فيها أي أقوال أخرى ومما يدل على أن السورة مدنية على الصحيح: ما جاء في تاريخ نزول السورة.

أما عن تاريخ نزول السورة الكريمة: فنزلت سورة "المجادلة" بعد سورة "المنافقون"، ونزلت سورة "المنافقون" بعد غزوة بني المصطلق، في السنة الخامسة من الهجرة النبوية فيكون نزول سورة "المجادلة"، فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك[٤]، وغزوة بني المصطلق: هي غزوة المُرَيْسيعُ[٥].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٦٩/٨) ط. دار الفكر بيروت بدون تاريخ.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٦/١٧) بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣٤/٨).

(٤) الموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين (١٦٧/٩) ت عبد العزيز التويجري، ط. أولى ١٤٢٠هـ.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٥٧/١) طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط. أولى ١٤٠٥هـ. ١٤٠٥هـ. المُرَيْسيعُ: اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل، سار النبي، صلى الله عليه وسلم، في سنة خمس، وقال ابن إسحاق: في سنة ست، إلى بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قد جمع له جمعا فوجدهم على ماء يقال له المريسيع فقاتلهم وسباهم وفي السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعي زوجة النبي، صلّى الله عليه وسلّم، وفي هذه الغزوة كان حديث الإفك. معجم البلدان للحموي (١١٨/٥)

وجاء ترتيبها في النزول بعد سورة المنافقون. ونزلت بعد سورة المجادلة سورة الحجرات التي تسمى سورة الأدب.

ويدل أيضاً على نزول سورة المجادلة قبل سورة الأحزاب: ما روى ابن وهب وابن القاسم عن مالك: أنها كانت سنة أربع وهي سنة غزوة الأحزاب وتسمى غزوة الخندق(١).

عدد آيات السورة:

عِلم عدِّ الآي: علم توقيفي ليس للرأي فيه مجال، وهو مأخوذ عن النبي ﷺ الذي أخذه عن جبريل عليه السلام. قال الإمام السيوطي: الصحيح أن الآية: إنما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة(٢).

أخرج الإمام البخاري بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ"(٣).

فدل هذا الحديث على أن أم القرآن وهي سورة الفاتحة: سبع آيات.

ومما يدل أيضاً على أن عدد الآيات توقيفي: ما أخرجه ابن حبان بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً تَسْتَغْفِرُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٤٥/٢١) بتصرف.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢٣٠/١) بتصرف.

(٣) صحيح البخاري (٤٧٠٤/٨١/٦) ت محمد زهير الناصر. ط. دار طوق ط. أولى ١٤٢٢هـ.

(٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان أبو حاتم البُستي (٦٧/٣) ت: شعيب الأرنؤوط، ط. مؤسسة الرسالة بيروت. ط. ثانية ١٤١٤-١٩٩٣.إسناده حسن: قاله المحقق. سورة الملك: آية١

وأما عن عدد آيات سورة المجادلة: فهي إحدى وعشرون آية في المكي والمدني الأخير، وقيل: اثنتان وعشرون آية عند الباقين.

قال أبو عمرو الداني: وكلمها أَربع مئة وَثَلَاث وَسَبْعُونَ كلمة، وحروفها ألف وَسبع مئة وَاثْنَانِ وَتسْعُونَ حرفاً.

وَهِي إِحْدَى وَعِشْرُونَ آيَة فِي الْمدنِي الْأَخير والمكي، وَاثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ فِي عدد البَاقِينَ. وجاء اختلافها في آيَة ﴿ أُولَئِكَ فِي الأذلين﴾[1] ولم يعدها الْمدنِي الْأَخير والمكي وعدها الْبَاقُونَ[2].

- **المدني الأول:** وهو ما يرويه نافع، عن شيخيه أبي جعفر، وشيبة بن نصاح، ويرويه الكوفيون عنهم، دون تعيين أحد منهم بعينه، وهو العد الذي اعتمدناه لقالون، وأبي جعفر.
- **المدني الأخير:** هو ما يرويه إسماعيل بن جعفر، عن سليمان بن مسلم بن جماز، عن شيبة، وأبي جعفر[3].

والمراد من المدني الأول: عدد أهل المدينة الأول، والمدني الأخير: عدد أهل المدينة الأخير.

(١) سورة المجادلة الآية:٢٠.

(٢) البيان في عد آي القرآن (ص: ٢٤٢) ت: غانم قدوري الحمد. ط. مركز المخطوطات والتراث – الكويت.ط.أولى هـ١٤١٤-١٩٩٤.، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن:أبو الفرج بن الجوزي (ص: ٣١٣) ط. دار البشائر –بيروت ط.أولى ١٤٠٨هـ –١٩٨٧م

(٣) البيان في عد آي القرآن (ص: ٧٩)

فضائل السورة:

سورة المجادلة من السور التي ورد في فضلها أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ،

الأحاديث الصحيحة الواردة عن الرسول ﷺ:في في سورة المجادلة:

- ما أخرجه الإمام البخاري عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾(١).
- ورد لها فضل عام تدخل فيه مع فضل حزب المفصل (٢).
- وحزب المفصل الذي يبدأ من سورة (ق) إلى نهاية سورة الناس. على الرأي الراجح.
- ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: "أُعْطِيتُ السَّبْعَ الطُّوَلَ مَكَانَ التَّوْرَاةِ، وَأُعْطِيتُ الْمِئِينَ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ، وَأُعْطِيتُ الْمَثَانِي مَكَانَ الزَّبُورِ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ"(٣).

مقاصد هذه السورة الكريمة:

- قال الإمام البقاعي: ومقصودها: الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه الحديد بمن حاد الله ورسوله، لما له سبحانه من تمام العلم،

---

(١) تقدم تخريجه في (ص: ٥).

(٢) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢١٩/١) وحزب المفصل من "ق" حتى نختم. لحديث اوس بن أبي اوس. ثم قال الإمام السيوطي: واختلف في أوله – يعني المفصل– على اثني عشر قولاً. ثم قال: للمفصل طوال إلى" عم" وأوساط إلى: الضحى، وقصار إلى: آخر القرآن. (٢٢١/٢).

(٣) فضائل القرآن (ص: ٢٢٥)، وفضائل القرآن لابن الضريس (ص١٢٧)، وموسوعة فضائل سور وآيات القرآن – للطرهوني: القسم الصحيح (١٧١/٢) والمراد: بالمئين: السور التي تزيد على مائة آية. والمثاني ما كان أقل من مائة آية ودون المفصل.

اللازم عنه تمام القدرة. اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال. وعلى ذلك دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها وآخرها، وتكرير الاسم الأعظم الجامع في القصة وجميع السورة، تكريراً لم يكن في سواها، بحيث لم تخل منه آية، وأما الآيات التي تكرر في كل منها المرتين فأكثر، فكثيرة[١].

- سورة المجادلة مثل بقية السور المدنية التي تعالج قضايا المجتمع ببيان التشريع اللازم لحل المشكلات التي تقع بين أفراده، وبيان الآداب الإسلامية التي تحتاج إليها المجتمعات المسلمة وغير المسلمة، ولفت أنظار المسلمين إلى أعدائهم في الدين، وتحديد العلاقة بهم[٢].

تناولت السورة أحكاماً تشريعية، وآداباً إسلامية منها:

أحكام الظهار والكفارة الواجبة على المظاهر، وحكم النجوى، وآداب المجالس، وتقديم صدقة عند مناجاة النبي ﷺ، وحكم الموالاة، وقال الفيروزآبادي: معظم مقصود السّورة: بيان حُكْم الظِّهار، وذكر النجوى والسّرار، والأَمر بالتَّوسع في المجالس، وبيان فضل أَهل العلم، والشكاية من المنافقين، والفرق بين حِزب الرّحمن، وحزب الشيطان، والحكم على بعض بالفلاح، وعلى بعض بالخسران، في قوله: {هُمُ الخَاسِرُونَ} و {هُمُ المُفْلِحُوْنَ}[٣].

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٦٨/٣) ط. مكتبة المعارف. ط. أولى. ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

(٢) التفسير الواضح محمد محمود حجازي (٦٨/٣) ط. دار الجيل بيروت. ط. العاشرة. ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤٥٦/١)

وبعد هذا التمهيد المتعلق بالسورة الكريمة يعرض الباحث إلى:

ثانياً: التعريف بمفردات عنوان البحث: سورة المجادلة أحكام وآداب:

معنى السورة:

أ- **السورة:** بضم السين وفتح الراء في اللغة: جاء لفظ السورة فيه لغتان:

الأولى: بالهمزة (سؤرة) ومَن همزها جعلها مِن أَسْأَرْتُ سُؤْرًا وسُؤْرة إذا أبقيت وأفضلت، من السُّؤْر، وهو ما بقي من الشراب في الإناء، كأنّ السورة بقيّة وقطعة من القرآن، وأكثر القراء على ترك الهمز فيها؛ لكثرة الاستعمال.

الثانية: من غير همز (سورة) جمعها سُوَر، وتأتي في اللغة بمعنى: المنزلة الرفيعة، والشرف، والعلامة، وما طال من البناء وحَسُن، وبها سمّيت سورة القرآن؛ لإجلالها وشرفها ورفعتها، ولأنّها كالمنزلة بعد المنزلة، مقطوعة عن الأخرى، أو يُفضَى منها إلى غيرها، ولكونها علامة على صِدق مَن جاء بها، ودليلًا على أنّ هذا القرآن من عند الله عزّ وجلّ.

ومنهم مَن يُشبّه سورة القرآن بسور البناء، أي القطعة منه، أي منزلة بعد منزلة، ومنهم مَن يشبهها بسور المدينة؛ لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور، أو بالسِّوار لإحاطته بالسّاعد(١).

ب-**تعريف السورة اصطلاحاً:** قال الإمام الجَعبَري(٢): حد السورة قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات(٣).

وقال الشيخ الزرقاني في تعريفها اصطلاحاً: طائفة مستقلة من آيات

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٨٦/١) بتصرف

(٢) هو: إبراهيم بن عمر الجعبري الشافعي برهان الدين المقرئ الإمام العلامة (ت ٧٣٢) ينظر الأعلام للزركلي (١٢٠/٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٦٤/١) في النوع الرابع عشر.

القرآن ذات مطلع ومقطع[١].

والتعريفان متقاربان يدلان على أن السورة القرآنية معروفة منذ عهد النبي ﷺ. وأطنب في تعريفها بعض العلماء:

فقال الشيخ الطاهر بن عاشور[٢]: السورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة، ناشئ عن أسباب النزول، أوعن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة[٣]

ت- **معنى المجادلة:** ضبط لفظ المجادلة: بكسر الدال أو فتحها كما تقدم في أول هذا البحث عند الحديث عن سر التسمية بهذا الاسم[٤].

ث- **معنى أحكام:** جمع مفردها: حُكْم، وأن مادة: حكم (الحاء، والكاف، والميم) أصل واحد يدل على المنع. وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها من الجري الشديد[٥]، والحكم: العلم والفقه قال الله تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبياً ﴾[٦] أي: علماً وفقهاً، والحكم أيضاً: العلم والفقه والقضاء بالعدل.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (٣٥٠/١).

(٢) هو: محمد الطاهر بن عاشور، التونسي، المالكي، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها (المتوفى: ١٣٩٣هـ). ينظر: الأعلام، للزركلي (١٧٤/٦).

(٣) التحرير والتنوير (٨٤/١).

(٤) البحث (ص٤).

(٥) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس الرازي (٩١/٢) تحقيق عبد السلام هارون ط دارالفكر ط. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م بتصرف. القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٠٩٥/١) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ط. الثامنة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م. المحيط في اللغة إسماعيل بن عباد (١٧٦/١) حكم.

(٦) سورة مريم في الآية (١٢).

والحكم: مصدر قولك: حكم بينهم يحكم أي قضى، وحكم له وحكم عليه [١].

والحكم ينقسم إلى قسمين:

الأول: الحكم التكليفي: هو ما اقتضى طلب فعل من المكلف، أو كفّه عن فعله أو تخييره بين فعل والكف عنه. ويشمل: {الواجب، والمندوب، والمباح، والحرام}[٢].

الثاني: الحكم الوضعي: فهو ما اقتضى وضع شيء سببا لشيء، أو شرطا له، أو مانعاً منه. ويشمل: {الأسباب، والشروط، والموانع، والرخصة والعزيمة}[٣]

(١) لسان العرب لابن منظور (١٢ /١٤١).

(٢) الحكم التكليفي يشمل: الواجب: هو ما يثاب فاعله امتثالا ويستحق تاركه العقاب، والمندوب: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ويطلبه الشارع طلبا غير جازم، والمباح: ما كان الخطاب فيه بالتخيير بين الفعل والترك فلم يثب على فعله ولم يعاقب على تركه، والمكروه: ما يقتضي الثواب على تركه امتثالا لا العقاب على فعله، والحرام: ما يثاب تاركه امتثالا ويستحق فاعله العقاب.

(٣) ينظر أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف (ص١٠٣) ط مكتبة الدعوة بتصرف. ومذكرة في أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ص١١وما بعدها) ط. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. ط. الخامسة ٢٠٠١م. ومجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية أبو محمد صالح بن محمد القحطاني (ص٦٢ وما بعدها) ط. دار الصميعي. السعودية. ط. أولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. والحكم الوضعي يشمل: السبب: ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته، والشرط: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، والمانع: هو ما يلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته. والرخصة: ما ثبت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح، والعزيمة: الحكم الثابت بدليل شرعي خال من معارض راجح.

ج- **معنى آداب:**

الآداب: جمع مفردها: أدب: وأصل معناها: الدعاء.

قال ابن فارس: {(أَدَبَ) الْهَمْزَةُ وَالدَّالُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ تَتَفَرَّعُ مَسَائِلُهُ وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ: فَالْأَدْبُ أَنْ تَجْمَعَ النَّاسَ إِلَى طَعَامِكَ. وَهِيَ الْمَأْدَبَةُ وَالْمَأْدُبَةُ. وَالْآدِبُ الدَّاعِي.. وَمِنْ هَذَا الْقِيَاسِ الْأَدَبُ أَيْضًا، لِأَنَّهُ مُجْمَعٌ عَلَى اسْتِحْسَانِه} وأدبهم على الأمر: جمعهم عليه يأدبهم[١].

ويقال أيضاً: (أدبه) راضه على محَاسِن الْأَخْلَاق ولقنه فنون الْأَدَب وجازاه على إساءته[٢]، المعنى الشرعي للأدب لا يخرج عن هذا المعنى اللغوي.

تعريف الأدب شرعاً: هو ترويض النفس على محاسن الأخلاق وفضائل الأقوال والأفعال التي استحسنها الشرع وأيدها العقل واستعمال ما يحمد قولا وفعلا[٣].

تعريف آخر للأدب: هو الأخذ بمكارم الأخلاق أو استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً أو هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك أو الوقوف مع المستحسنات[٤].

وقيل: الأَدَبُ مَلَكَةٌ تَعْصِمُ مَنْ قَامَت بِهِ عمَّا يَشِينُه[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (٧٤/١) مادة:(أدب)، وأساس البلاغة للزمخشري (٢٢/١) ت: محمد باسل ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٢) المعجم الوسيط تأليف: مجمع اللغة العربية (٩/١) (أدب).

(٣) صحيح البخاري (٢/٨) شرح وتعليق مصطفى ديب البغا.

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري الحافظ القسطلاني (٢/٩)، وفتح الباري لابن حجر (٤٠٠/١٠)

(٥) تاج العروس للزبيدي (١٢/٢)

وقال الجرجاني في تعريفه: إنه عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ. وأدب القاضي: هو التزامه لما ندب إليه الشرع، من بسط العدل ورفع الظلم، وترك الميل(١).

ومن هذه التعاريف يمكن استخلاص الآتي:

- أن الأدب التزام وتمسك بفضائل الأخلاق، والبعد عما فيه سوء ومعصية.
- أن علماء السنة جعلوا للأدب في مؤلفات السنة مكاناً منها: (كتاب الآداب) في صحيح البخاري، وصحيح مسلم وغيرهما من كتب السنة المطهرة، والفقهاء أيضاً بوبوا الأبواب بالآداب: آداب القضاء، آداب الصلاة.
- أن الدعوة للطعام: مأدبة واجتماع للناس.
- هناك الأدب الذي يقابل الشعر في اللغة وهذا غير داخل في موضوع هذا البحث.

الخلاصة: أن الأدب فاعله يستحق الثواب، ولا يستحق اللوم على الترك إلا إذا ترتب عليه ضرر ما. ويمكن القول بأنه مرادفٌ للمندوب في الغالب.

(١) التعريفات (ص١٥)

والآن مع المبحث الأول: بعض الأحكام الواردة في سورة المجادلة: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم الظهار وكفارته في الإسلام

قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

أولاً: سبب نزول الآيات: تقدم الحديث عن سبب نزول هذه الآيات في أول هذا البحث، وذكرتُ السبب الصحيح في نزول صدر السورة الكريمة، وهو قصة خولة بنت ثعلبة وظهار زوجها أوس بن الصامت منها(٢).

ثانياً: الظهار وتعريفه: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم﴾ الظهار: مشتق من الظهر وهو قول الرجل لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمي ومعناه الأصلي: مقابلة الظهر بالظهر، واستعمل الظهار في تحريم الزوجة بجعلها محرمة كظهر أمه؛ لأن الظهر موضع الركوب، وهذا من لطيف الاستعارات للكناية.

(١) سورة المجادلة الآيات: ١ – ٤.

(٢) البحث (ص٥)

وحقيقة الظهار: تشبيه ظهر بظهر، والموجب للحكم منه تشبيه ظهر محلل بظهر محرم[١]. وكان الظهار يُعد طلاقاً في الجاهلية بل هو أشد أنواع الطلاق، وكان الرجل المظاهر يتجنب المرأة المظاهر منها، كما تتجنب المطلقة. وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته، قال لها: "أنت عليَّ كظهر أمي". وكان الظهار كذلك في أول الإسلام حتى نزلت هذه السورة الكريمة –المجادلة–، فجعلت الشريعة الظهّار مُحرِّماً قربان المرأة المظاهر منها حتى يكفّر زوجها. ودل قوله ﷺ: "مَا أَرَاكِ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتِ عَلَيْهِ"[٢] على حرمة وطء الرجل لزوجته حتى يكفر عن هذا الظهار، وفيه دليل على أن النبي ﷺ حكم في الظهار بالفراق، وهو الحكم بالتحريم بالطلاق، حتى نسخ الله ذلك بالكفارة. [٣] وقال بعض العلماء: إن الظهار كان طلاقاً يوجب حرمة مؤبدة لا رجعة فيه، وقيل: لم يكن طلاقاً من كل وجه بل كانت الزوجة تبقى معلقة لا ذات زوج ولا خالية تنكح غيره[٤].

قال الإمام الشافعي: سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يذكر: أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بثلاثة: الظهار والإيلاء والطلاق. فأقر الله تعالى الطلاق طلاقا، وحكم في الإيلاء بأن أمهل المولي أربعة أشهر، ثم جعل عليه أن يفيء أو يطلق. وحكم في الظهار بالكفارة[٥].

إذن الشريعة الإسلامية جاءت تعالج كثيراً من الأمور التي ادعاها أهل الجاهلية وزعموها، وتبطل ما لا يصلح للعمل به في هذه الشريعة.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١٨٧/٤)، روائع البيان للصابوني (٥١٤/٢)

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢٩٠/٣)، تفسير الطبري (٤٥١/٢٢)

(٣)أحكام القرآن لابن العربي (١٩٠/٤)

(٤) تفسير آيات الأحكام للسايس (ص: ٧٢٩)

(٥) كتاب الأم (٢٩٤/٥) ط. دار المعرفة بيروت بدون رقم طبعة– ١٤١٠هـ–١٩٩٠م

وما الظهار من الزوجة إلا أمراً من هذه الأمور التي أبطلت آثارها الشريعة الإسلامية، وجعلت للظهار كفارة. وسورة المجادلة هي السورة التي ورد فيها إبطال الظهار وبيان أحكام كفارته.

ثالثاً: الذي يترتب على الظهار:

إذا ظاهر الرجل من زوجه ترتب على ذلك أمران:

الأمر الأول: حرمة إتيان الزوجة حتى يكفر زوجها الكفارة التي بينتها الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا...﴾، وكما يحرم المسيس فإنه يحرم كذلك مقدماته، من التقبيل، والمعانقة وغيرها من وجوه الاستمتاع، وهذا مذهب جمهور الفقهاء (الحنفية والمالكية، والحنابلة). وقال الثوري والشافعي (في أحد قوليه): إن المحرّم هو الوطء فقط، لأن المسيس كناية عن الجماع. ورأي الجمهور هو الأحوط.

الأمر الثاني: وجوب الكفارة بالعود إلى الاستمتاع بالزوجة بالوطء وغيره.

واختلف الفقهاء في المراد من العود: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن المراد من العود: الوطء أو الإمساك، أو العزم على الوطء.

وذهب الظاهرية [1] إلى أن المراد منه: تكرار لفظ الظهار. وهذا الكلام غير صحيح؛ لأن سياق الآيات الواردة في الظهار ترده، والأحاديث الواردة في الظهار لم يرد فيها ما يدل على أن المظاهر كرر لفظ الظهار، ورجح العلماء رأي الجمهور، وردوا على راي الظاهرية.

(١) هم طائفة تقول بظاهر الكتاب والسنة، وهم أتباع داود بن علي الظاهري المتوفى(٢٧٠هـ).

قال القاضي ابن العربي: فأما القول بأنه العود إلى لفظ الظهار فهو باطل قطعاً[١]

رابعاً: كفارة الظهار في الإسلام:

جاءت كفارة الظهار في الآيات على هذا الترتيب بحيث أن المظاهر لا ينتقل إلى الصوم إلا إذا عجز عن الصيام، ولا ينتقل إلى الإطعام إلا إذا عجز عن الصيام. وهي كما يلي:

١. تحرير رقبة في قوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾.

- الرقبة في الأصل: العنق ثم أطلقت على ذات الإنسان المراد بها هنا المملوك عبداً كان أو أمة، وهو من باب تسمية الكل باسم الجزء.

قال ابن الأثير: الرقبة في الأصل العنق، فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان؛ تسمية للشيء ببعضه، فإذا قال: أعتق رقبة، فكأنه قال أعتق عبدا أو أمة[٢].

- المسُّ: إدراك بحاسة اللمس وكنى به عن النكاح فقيل: مَسَّها وماسّها، قال تعالى ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ﴾[٣]، والمسيس كناية عن النكاح أيضاً، وكُنىَّ بالمس عن الجنون، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[٤]، والمس يقال في كل ما ينال الإنسان من الأذى[٥]، والتماس هنا: كناية عن الجماع.

---

(١) أحكام القرآن (١٩٢/٤) ، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (٥٢٧/٢) بتصرف

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤٩/٢)، روائع البيان (٥١٥/٢) بتصرف.

(٣) سورة البقرة في الآية: ٢٣٦.

(٤) نفس السورة في الآية: ٢٧٥.

(٥) المفردات في غريب القرآن (٤٦٧) بتصرف.

٢. صيام شهرين متتابعين في قوله تعالى:﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ فإذا لم يجد المظاهر الرقبة فإنه ينتقل إلى الصيام

٣. إطعام ستين مسكيناً في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾[١]. فإذا عجز المظاهر عن صيام شهرين متتابعين لكبر سنه أو لمرض لا يرجى برؤه بإخبار طبيب ثقة مسلم انتقل إلى الإطعام. وأما التفصيل في هذه الأحكام فإنها تراجع في كتب أحكام القرآن[٢].

هذه الكفارة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية كي تعيد الحياة الزوجية إلى طبيعتها – بين الرجل المظاهر وزوجته – التي كانت عليها قبل الظهار محرمة عليه. وأيضاً تحافظ على الأسرة المسلمة وترابطها وتماسكها حتى يعيش أفراد الأسرة جميعاً في حالة من الأمن والاستقرار، وينعكس ذلك كله على المجتمع المسلم فيكون مجتمعاً قوياً متماسكاً يقوى على مواجهة المخاطر التي تحيط به في كل زمان ومكان، أيضاً يكون قدوةً للمجتمعات الأخرى.

(١) سورة المجادلة في الآية: ٤

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٢٧٩/١٧)، وأحكام القرآن للقاضي ابن العربي (١٧٨/٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٥٧١/٣) وغيرها.

المطلب الثاني: حكم موالاة غير المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(١)

أولاً: سبب نزول هذه الآيات:

قال المفسرون إن هذه الآيات: نزلت في المنافقين الذين تولوا اليهود الذين غضب الله عليهم، وأن المنافقين ليسوا من المؤمنين، ولا من اليهود والكفار الذين يتولونهم(٢).

قال تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾(٣)

وذكر الإمام الطبري أن المراد بهم: المنافقون تولّوا اليهود وناصحوهم(٤)

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن سعيد بنِ جُبير أن ابن عباس حدثه قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة من حُجره، وعنده نفر من المسلمين قد كاد يَقْلِصُ عنهم الظلُّ، قال: فقال: إنه سيأتيكم إنسانٌ ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلموه، قال: فجاء رجل أزرقُ، فدعاه رسول الله ﷺ

(١) سورة المجادلة الآيات من (١٤-٢٢)

(٢) التفسير البسيط للواحدي (٣٥٤/٢١) بتصرف

(٣) سورة النساء الآية:١٤٣

(٤) جامع البيان (٢٥٢/٢٣) وعزاه إلى قتادة.، وذكره ابن كثير في تفسيره (٥١/٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٨٠/٥)

فكلمه، قال: عَلَامَ تَشْتُمُنِي أنت وفلانٌ وفلان ؟، نفرٌ دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله اعتذروا إليه، قال: فأنزل الله عز وجل {فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ} الآية[1].

قال الإمام القرطبي مبيناً ما ورد في سبب النزول: قال قتادة: هم المنافقون تولوا اليهود "ما هم منكم ولا منهم" يقول: ليس المنافقون من اليهود ولا من المسلمين بل هم مذبذبون بين ذلك، وكانوا يحملون أخبار المسلمين إليهم.

قال السدي ومقاتل: نزلت في عبدالله بن أبي، وعبدالله بن نَبْتَل المُنافِقَيْن، كان أحدهما يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينا النبي ﷺ في حجرة من حجراته إذ قال: (يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان) فدخل عبدالله بن نبتل – وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللحية – فقال عليه الصلاة والسلام: (علام تشتمني أنت وأصحابك) فحلف بالله ما فعل ذلك. فقال له النبي ﷺ: (فعلت) فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت هذه الآية[2]

(١) المسند (٢٤٠٧/٩٩/٣) ت أحمد شاكر. قال المحقق: إسناده حسن، والحاكم في المستدرك (٣٧٩٥/٥٢٤/٢) بنحوه ك: التفسير، سورة المجادلة، وصححه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، دلائل النبوة للبيهقي (٢٨٢/٥)، وذكره الواحدي في أسباب النزول ولم يذكر فيه عبد الله بن أبي (ص ٤١٤)، والطبري في تفسيره (٢٥٣/٢٣). ومعنى: كاد الظل يقلص: ينزوي ويذهب أو ينقبض، ومعنى "ينظر بعيني شيطان" قال السندي: كناية عن كونه شيطاناً، أو المراد أن عينيه في النظر تتبع أمر الشيطان. والتشبيه بالشيطان لبيان شدة قبحه، وعبد الله بن نبتل بن الحارث بن قيس من بني عمرو بن عوف. ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٠٠/٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٢٧/٢٧) وعزاه الواحدي في أسباب النزول للسدي ومقاتل دون ذكر عبد الله بن أبي (ص٤١٣). وفي المستدرك للحاكم (٥٢٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٠/٢٦)

وذكر الإمام السيوطي قول السدي: بلغنا أنه نزلت في عبد الله بن نبتل وكان رجلا من المنافقين[١]، فهذه الرواية تدل على أن الآيات نزلت في المنافقين، وفي رجل من المنافقين يسمى: عبد الله بن نبتل.

ويدل قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾[٢] دلالة واضحة على أن المراد بهذه الآيات هم المنافقون ولذا جاءت الآية الأخيرة من السورة تنهى عن مودة وموالاة غير المؤمنين ولوا كانوا من الآباء او من الأبناء...إلخ، وهي:

سبب نزول قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ...﴾[٣]. هذه الآية أيضاً تؤكد النهي عن موالاة الكفار ومظاهرتهم.

ذكر الإمام الواحدي: عن ابن مسعود أنه قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا رسول الله دعني أكن في الرحلة الأولى، فقال له رسول الله: "متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري"، وفي مصعب بن عُمير قتل أخاه عُبيد بن عمير يوم أحد. وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وفي علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر، وذلك قوله: ولو كانوا

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨٥/٨) وعزاه لابن أبي حاتم. وفي مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي (ص: ١٠٦) ذكره: عبد الله بن نفيل، والصواب: نبتل.، وفي لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (ص٢٠٦)

(٢) سورة التوبة في الآية:٧٤

(٣) سورة المجادلة الآية:٢٢

آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[١].

وعن ابن شَوْذَب [٢]قال: جعل أبو أبي عبيدة يتصدى له يوم بدر، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾[٣] وبدأ بالآباء؛ لأنهم الواجب على الأولاد طاعتهم، فنهاهم عن موادتهم، وقال تعالى: وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا[٤]، ثم ثنى بالأبناء ؛ لأنهم أعلق بالقلوب، ثم أتى ثالثاً بالإخوان لأنهم بهم التعاضد[٥].

وفي هذا بيان: أن ولاية الإنسان وموادته تكون لمن هو على دينه، ولا تكون لمن كان على غير دينه من والد أو ولد أو أخ أو عشيرة.

ثانيا: معنى المولاة: بالرجوع إلى المعاجم اللغوية في معنى المولاة:

الولي: الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب. المولى: الصاحب، والحليف، وابن العم، والناصر، والجار، وكل هؤلاء من الولي وهو القرب. وكل من ولي أمر آخر فهو وليه[٦]، الولاء والتوالي: أن يحصل

---

(١) أسباب النزول (ص: ٤١٤)

(٢)عبد الله بن شوذب البلخي، ثم البصري، الإمام العالم من ثقات التابعين ، أبو عبد الرحمن نزيل بيت المقدس توفي (١٥٦هـ) سير أعلام النبلاء(٩٢/٧) ط.مؤسسة الرسالة ط. الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.بتصرف.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٥٥/٩) وعزاه للطبراني وإسناده منقطع ورجاله ثقات، والمستدرك للحاكم (٣٧٩٥/٢٩٦/٣) وسكت عنه الذهبي.

(٤) سورة لقمان الآية:١٥

(٥) البحر المحيط في التفسير (١٣١/١٠)

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (١٤١/٦)

شيئان فصاعدا حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية النصرة[١]، ويتضح مما سبق أن معنى المولاة المرادة في الآيات السابقة: أنها الحلف والنصرة التي وقعت بين المنافقين واليهود والكفار عموماً.

فجاء الاستفهام التعجبي في الآية الكريمة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢] مخاطباً الرسول ﷺ أو لكل من يصلح له الخطاب في موالاة المنافقين لليهود المغضوب عليهم، فكانوا ينقلون إليهم أخبار المسلمين، ويفشون أسرارهم، ويجتمعون معهم على الإساءة للنبي ﷺوأصحابه من المؤمنين، وعندما يواجهون بذلك يحلفون كذباً وزوراً أنهم ما حدث منهم شيء، وهي اليمين الغموس ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾ كما جاء في سبب نزول الآيات في عبد الله بن نبتل المنافق وأصحابه، فتوعدهم الله بالعذاب الشديد.

فالآيات تنهى عن مثل هذه الموالاة التي وقعت من المنافقين لليهود وغيرهم من الكفار. وتأتي الآية الأخيرة في السورة الكريمة تؤكد النهي عن موالاة الكفار وموادتهم، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٣]، والخطاب هنا أيضاً للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له الخطاب، وتظهر هذه الآية الكريمة الفرق بين المنافقين الذين أعلنوا الإسلام بألسنتهم وانطوت قلوبهم على الكفر– في الآيات السابقة –، وبين المؤمنين الصادقين الذين صدقوا الله

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب (ص: ٨٨٥)

(٢) سورة المجادلة: الآية ١٤

(٣) نفس السورة: الآية ٢٢

ورسوله، وآمنوا باليوم الآخر، والذين لم تأخذهم في الله لومة لائم. فلا تكون منهم موادة ومناصرة، ولا موالاة للمشركين، ولو كانوا من الآباء: كما فعل الصحابي أبو عبيدة رضي الله عنه قتل أباه في غزوة بدر، أو الأبناء: كما فعل الصديق رضي الله عنه هم بقتل ابنه عبد الرحمن أو الإخوة من النسب: كما فعل مصعب بن عمير رضي الله عنه قتل أخاه عبيد بن عمير، أومن العشيرة: كما فعل عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وكما فعل علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعُبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة من المشركين في غزوة بدر. كما تقدم في سبب النزول الآية. ولذلك بين الله عزوجل جزاءهم برفعة شأنهم وعلو منزلتهم وثبات الإيمان في قلوبهم، ونورها بروح منه فقال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

ثالثاً: وردت آيات كثيرة تنهى عن موالاة الكفار منها: قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾(٢)

وقوله سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣)

وقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٨ ، وينظر كتاب الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف د/محمد سعيد القحطان ،الذي عرض فيه هذا الموضوع بالتفصيل.

(٣) نفس السورة: الآية ١١٨

الظَّالِمِينَ﴾[١].

رابعاً: الموالاة الممنوعة التي يكون فيها إضرار بالدين أو إيذاء للمسلمين أو ضياع لمصالحهم، وأما ما يتعلق بالمعاملات الدنياوية كالتجارات والمعاهدات وغيرها فلا يدخل في النهي الوارد في الآيات. فالموالاة الحقيقية ينبغي أن تكون للمؤمنين لا لغيرهم؛ لأنها موالاة لله عزوجل وموالاة لرسوله ﷺ.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي يجوز في الموالاة وما لا يجوز؟

والجواب كالآتي: كون المؤمن موالياً للكافر يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون موالياً له وراضياً بكفره، والرضا بالكفر يكون كفراً. فيستحيل وقوع ذلك من المؤمن.

ثانيها: المعاملة الحسنة والعشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر. وهذا جائز كمعاملة المؤمن لوالديه المشركين. قوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢]

ثالثها: هو التوسط بين الوجهين السابقين بمعنى: الركون إلى الكفار ومعاونتهم، ومظاهرتهم والنصرة لهم بسبب القرابة بينهم، أو المحبة والصداقة قبل الإسلام أو غير ذلك مع اعتقاد أن دينه باطل. وهذا لا يستوجب كفراً؛ إلا أنه منهي عنه خشية أن يقع في المحظور – كما وقع من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه في موالاة المشركين –[٣].

وبهذا يتم الحديث عن المبحث الأول. وننتقل إلى المبحث الثاني.

---

(١) سورة المائدة: الآية:٥١

(٢) ينظر مفاتيح الغيب للرازي (١٩٢/٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (١٣٩/٢).

(٣) سورة الممتحنة الآيتان: ٨-٩

المبحث الثاني: الآداب التي اشتملت عليها السورة الكريمة: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أدب المناجاة في الإسلام

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(١)

أولاً: أدب عام في مناجاة الناس

سبب نزول الآيات: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾

ذكر الإمام الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول

(١) سورة المجادلة الآيات من: (٧-١٠)

الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم. فأنزل الله تعالى هذه الآية[١]، فتدل الرواية على نزولها في المنافقين واليهود.

وعن مقاتل بن حيان قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة فكانوا إذا مرَّ بهم رجل من أصحابه جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله وبما يكرهه فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا فأنزل الله: ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى...﴾[٢]، فتدل الرواية على نزولها في اليهود.

ولا مانع من نزول الآية في المنافقين واليهود معاً؛ لأن الفريقين على شاكلة واحدة يجتمعون على إيذاء المسلمين بأي لون من ألوان الأذى مادياً كان أو معنوياً، كما قال بذلك جماعة من المفسرين[٣].

قال الإمام الفراء: نزلت في اليهود والمنافقين، وكانوا إذا قاعدوا مسلما قد غزا له قريب في بعض سرايا رسول الله ﷺ تناجى الاثنان من اليهود والمنافقين بما يوقع في قلب المسلم أن صاحبه قد قتل، أو أصيب، فيحزن لذلك، فنهوا عن النجوى[٤]. والنهي عن النجوى من حسن الأدب حتى لا يقع التباغض والتقاطع والتدابر بين أفراد المجتمع.

---

(١) أسباب النزول (ص: ٤٣) ذكره الواحدي دون إسناد، وابن عطية في تفسيره (٢٧٦/٥) وأبو حيان في البحر المحيط (١٢٦/١٠)

(٢) لباب النقول في أسباب النزول (ص: ١٨٩) وعزاه الإمام السوطي لابن أبي حاتم. وفي الدر المنثور (٧٩/٨) عن مجاهد قال: نزلت الآية في اليهود، وعزاه لابن المنذر.

(٣) أبو حيان في البحر المحيط (١٢٦/١٠)، والقرطبي في تفسيره (٢٩١/١٧)، وأبو السعود في تفسيره (٢١٩/٨)، والواحدي في تفسيره البسيط (٣٤٢/٢١)

(٤) معاني القرآن (١٤٠/٣)

ثانياً: النجوى

والنجوى أصله المصدر: وهي التكلم في السر بما فيه معصية، أو الانفراد بالحديث دون الشخص الثالث. وناجيته. أي: سررته، وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض، وقيل: أصله من النجاة، وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه(١). والنجوى التناجي، ومنه قوله تعالى:﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾(٢).

وقال الزجاج: النجوى مشتق من النجوة، وهي ما ارتفع ونجا، فالكلام المذكور سراً لما خلا عن استماع الغير صار كالأرض المرتفعة، النجو، والنجوى: السر بين اثنين(٣).

والسرار: ما كان بين اثنين، والنجوى: ما كان بين أكثر من اثنين.

أخرج الإمام مسلم بسنده عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ"(٤).

خلاصة القول: النهي عن النجوى الذي جاء في هذه الآيات الكريمة السابقة وإن كان ورد في شأن المنافقين واليهود– الذين كان دأبهم إيذاء المؤمنين– فيوهمون المسلمين أنهم يتناجون بما يسوءهم ويؤذيهم، فيحزن المسلمون لذلك، ويقولون ما نراهم إلا قد بلغهم عن إخواننا الذين خرجوا في

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب (ص: ٧٩٣) بتصرف.

(٢) سورة النساء الآية: ١١٤

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٩/٥)، والإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي(ص٢٥٦)

(٤) صحيح مسلم (١٧١٨/٤/ح٢١٨٤) ك: السلام باب: تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث. وفي صحيح البخاري (٦٤/٨/ح٦٢٨٨) بنحوه.

السرايا قتل أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا. فنزلت الآيات(١).

فلا شك أن الإسلام يدعوا أفراد المجتمع المسلم أن يتركوا هذه المناجاة المنهي عنها – كفعل المنافقين واليهود – فلا يتناجوا بالإثم وهو: القول القبيح، ولا العدوان وهو: ما يؤدي إلى الظلم. ومعصية الرسول: أي ما يكون مخالفاً لما جاء به. أمرهم بالتناجي بالطاعة والتقوى والعفاف عما نهى الله عنه فالجميع إليه يحشرون يوم القيامة. وهذا التناجي الذي يقع من المتناجين، وما يقع من تزيين الشيطان لن يضر المؤمنين شيئاً إلا بإذن الله تعالى ومشيئته. ويجب على المؤمنين التوكل على الله تعالى في كل أمورهم، فمن توكل على الله كفاه. قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٢).

وبعد هذا البيان الواضح في أدب المناجاة العام، يبين الله تعالى ما ينبغي على المؤمنين عند مناجاة الرسول الكريم ﷺ.

قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣).

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٦٠/٤)

(٢) سورة المجادلة الآيتان: ٩-١٠

(٣) سورة المجادلة الآيتان: ١٢-١٣

ثالثاً: أدب خاص في مناجاة الرسول ﷺ ،وتعظيم قدره وتقديم صدقة عند مناجاته.

سبب النزول:

ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله: ﴿فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾، وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله﴾ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، عليه السلام. فلما قال ذلك صبر كثير من الناس وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فوسع الله عليهم ولم يضيق(١).

وهذه الرواية تدل على أن المسلمين أكثروا المناجاة للنبي ﷺ حتى شق ذلك عليه، وحاله ﷺ وكمال خلقه أنه لا يرد أحداً له حاجة فخفف الله تعالى عن النبي ﷺ ورفع عنه الحرج بمشروعية الصدقة لمن له حاجة في مناجاته ﷺ، فأمسك كثير من الناس عن النجوى.

وذكر بعض المفسرين ما وردعن مقاتل بن حيان قال: نزلت الآية في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله ﷺ ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم، فأنزل الله عزوجل هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا، وأما أهل الميسرة فبخلوا، واشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فنزلت الرخصة(٢).

---

(١) تفسير الطبري (٢٤٩/٢٣)، تفسير ابن كثير (٥١/٨)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨٣/٨) وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، تفسير النيسابوري (٢٧٥/٦)

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص:٤٣٢)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (١٥٤/٢٦)، وتفسير الرازي (٤٩٥/٢٩)، وتفسير النيسابوري (١٤٣/٧)

وهذه الرواية تبين أن المناجاة كانت من الأغنياء دون الفقراء، وأن رسول الله ﷺ كره ذلك منهم فأمر الله عزوجل بالصدقة على الفقراء قبل المناجاة. فبخل الأغنياء وشق ذلك على الفقراء، فرخص الله لهم في المناجاة دون التصدق.

وأخرج الترمذي بسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَا تَرَى؟ دِينَارٌ؟" قُلْتُ: لَا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: "فَنِصْفُ دِينَارٍ؟"، قُلْتُ: لَا يُطِيقُونَهُ. قَالَ: "فَكَمْ؟" قُلْتُ: شَعِيرَةٌ. قَالَ: "إِنَّكَ لَزَهِيدٌ". قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾. قَالَ: "فَبِي خَفَّفَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ". ومعنى: شعيرة: أي وزن شعيرة من ذهب(١).

وأخرج الحاكم بسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى "﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ الآية. قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي ﷺ، فكنت كلما ناجيت النبي ﷺ قدمت بين يدي نجواي درهما، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾(٢)، تدل الروايتان على نزول الآيتين في شأن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ، وأنه الصحابي الوحيد الذي تصدق عند نزول الآية الأولى، ولما كان في ذلك مشقة على المسلمين نزلت الآية الثانية: (أأشفقتم) ناسخة للآية الأولى –على قول من يرى وقوع النسخ بين

(١) سنن الترمذي (٤٠٦/٥) وقال: حسن غريب، وقال الألباني: ضعيف. وذكره السيوطي في لباب النقول (ص:٢٠٧) ٢٠٧

(٢) المستدرك على الصحيحين (٣٧٩٤/٥٢٤/٢) وصححه، ووافقه الذهبي. وتفسر مجاهد (ص:٦٥١) بنحوه. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٣٢)، والطبري في تفسيره (٢٤٨/٢٣).

الآيتين[1].

والحقيقة أنه ليس هناك ما يمنع أن يتصدق بعض أغنياء الصحابة رضوان الله عليهم قبل مناجاة النبي ﷺ كما نقل عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه تصدق.

فأخرج الإمام الطبراني عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: نَزَلَتْ فِيَّ ثَلَاثُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ... وَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ فَقَدَّمْتُ شَعِيرَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّكَ لَزَهِيدٌ" فَنَزَلَتِ الْأُخْرَى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾[2].

وذهب القاضي ابن العربي إلى: عدم صحة مثل هذه الروايات التي وردت في شأن تصدق سيدنا علي ﷺ قبل مناجاته للنبي ﷺ فقال: {قد روي عن مجاهد أن أول من تصدق في ذلك علي بن أبي طالب، تصدق بدينار، وناجى رسول الله ﷺ، وروي أنه تصدق بخاتم، وهذا كله لا يصح}[3]

فهذا أدب المؤمنين مع الرسول ﷺ عند المناجاة، فيستحب للمناجي أن يتصدق على الفقراء لمنفعتهم ،ولتعظيم مقام الرسول ﷺ حتى يتبين المخلص المحب من غيره.

---

(١) الناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة السدوسي (ص: ٤٨) ت: طالح الضامن ط. مؤسسة الرسالة ط. الثالثة. ذكر أنها منسوخة (فنسخت ما كان قبلها من أمر الصدقة من نجوى). وذهب أبو مسلم الأصفهاني إلى القول بعدم النسخ.

(٢) المعجم الكبير (١٤٧/١/ح٣٣١)، وفي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (١٢٢/٧/ح١١٤٠٦) ذكره مختصراً، وقال رواه الطبراني في حديث طويل في حديث الصحيح، وفيه سلمة بن الفضل بن الأبرش وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري وغيره.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢٠٢/٤) وقال بضعفه أيضاً القرطبي في تفسيره (٣٠٣/١٧)

الفائدة من هذه الصدقة التي تقدم عند مناجاة النبي ﷺ:

توجد عدة فوائد:

- تعظيم لمقام الرسول ﷺ وبيان الخصوصية في مناجاته.
- انتفاع عدد من الفقراء والمساكين بهذه الصدقة
- الحد من الإفراط في المناجاة للرسول ﷺ.
- التمييز بين المخلصين والمنافقين[١].

اتفق الجمهور على القول بالنسخ أي: أن الآية الأولى منسوخة نسختها التي بعدها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نسخها الله بالآية التي بعدها[٢]

وقال الإمام السيوطي في قوله تعالى: (إذا ناجيتم الرسول): منسوخة بالآية التي بعدها، ففيه دليل على جواز النسخ بلا بدل، ووقوعه خلافاً لمن أبى ذلك[٣]

واختلفوا في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ في هذا الموضع. نقل هذا الاختلاف الإمام القرطبي عن مقاتل بن حيان قال: إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ. وقال الكلبي: ما كان ذلك إلا ليلة واحدة. وقال ابن عباس: ما بقي إلا ساعة من النهار حتى نسخ. وكذا قال قتادة [٤]

قال الإمام السيوطي: والمناجاة لا يمكن منعها على الإطلاق؛ لأن منها ما هو ضروري لا غنى للإنسان عنه، ومنها ما يكون فيه مصلحة للمسلمين.

وأما عن الصدقة فهي لم تطلب لذاتها؛ لأن الصدقات مرغب فيها

---

(١) روح المعاني للآلوسي (٢٢٤/١٤) بتصرف

(٢) الدر المنثور (٨٤/٨) وعزاه لأبي داود في ناسخه، وابن المنذر.

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل (ص: ٢٥٧)

(٤) الجامع لأحكام القران للقرطبي (٣٠٣/١٧) بتصرف. وذكر قول قتادة الطبري في تفسيره (٢٤٩/٢٣)

دون توقف على المناجاة، فإن من الصحابة من تصدق بماله كله كأبي بكر الصديق ﷺ، ومنهم من تصدق بنصف ماله كعمر بن الخطاب ﷺ.

ومن هنا يتضح أن: نسخ الأحكام الشرعية لمصلحة البشر دليل على التخفيف والتيسير على العباد. الصلاة والزكاة من أعظم أركان الإسلام ولهذا يقرن بينهما في القرآن الكريم في مواضع كثيرة.

وبعد آدب المناجاة ننتقل إلى أدب إلى إلقاء السلام:

قال الله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1]

المطلب الثاني: أدب إلقاء السلام

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أخرج الإمام البخاري بسنده عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ[2] عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُول ﷺ: "قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"[3] وفي رواية: "رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ،

(١) سورة المجادلة آية:٨

(٢) السام: الموت الدائم. النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين ابن الأثير (١٤٢/٢)

(٣) صحيح البخاري (٦٠٢٤/١٢/٨) ك: الآدب باب الرفق في الآمر كله. وفي صحيح مسلم (٢١٦٥/١٧٠٦/٤) ك: السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام بنحوه. والواحدي في أسباب النزول (ص٤١١)

وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ".

وجاء في رواية للإمام مسلم عن السيدة عائشة قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أُنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: "وَعَلَيْكُمْ" قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ "لَا تَكُونِي فَاحِشَةً" فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ: "أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمِ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "وفي رواية: فَفَطِنَتْ بِهِمْ عَائِشَةُ فَسَبَّتْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَهْ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ" وَزَادَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ(١).

كان من تحية اليهود الذين كانوا يحضرون مجلس الرسول ﷺ، فيقولون: السام عليك يا محمد – ظاهرها السلام وباطنها الشتيمة والدعاء عليه بالموت – فكان أدبه ﷺ يمنعه من مقابلة هؤلاء السفهاء بالسب والشتم إنما كان يقول: وعليكم. والله تعالى يستجيب لرسول الله ﷺ فيهم، ولا يستجيب لهم فيه.

ويوب الإمام مسلم في كتابه الصحيح: باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، وساق الأحاديث التي تدل على أدب السلام، وكيفية رد السلام على أهل الكتاب. فعن أنس بن مالك أن رسول ﷺ قال: "إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم"(٢).

وعن أنس بن مالك قال: مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ ﷺ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَعَلَيْكَ" فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَقْتُلُهُ؟ قَالَ: "لاَ، إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ

(١) صحيح مسلم (٤/١٧٠٧/٢١٦٥) ك: السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(٢) نفس المصدر (٤/١٧٠٥)

الكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ"[1]

وجاءت الشريعة الإسلامية بأدب السلام من جملة الآداب التي جاء بها ديننا الحنيف، وابتداء السلام سنة، ورده واجب. فإن كان المُسَلَّم عليه واحداً تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم، فإذا رد واحد منهم فلا حرج على الآخرين، وندب السلام على الصبيان الصغار حتى يغرس في نفوسهم هذا الأدب منذ الصغر.

ومن هنا كانت الحاجة ماسة لأفراد المجتمع المسلم أن يطبقوا هذا الأدب الإسلامي حتى يتخلص المجتمع من الخصومات والمشاحنات التي يعاني منها بعض الناس. وبالتالي يتآلف أبناء المجتمع ويصبح مجتمعاً مترابطاً متماسكاً كالبنيان المرصوص.

أخرج الإمام البخاري بسنده عن النعمان بن بشير قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى"[2] وفي رواية عنه: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[3].

(١) صحيح البخاري (٦٩٢٦/١٥/٩) ك: استتابة المرتدين باب: إذا عَرَّض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ.

(٢) المصدر السابق (٦٠١١/١٠/٨) ك: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم.

(٣) صحيح مسلم (٢٥٨٦/١٩٩٩/٤) ك: البر والصلة والأدب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

المطلب الثالث: أدب المجلس

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١)

سبب النزول: ذكر الإمام الواحدي عن مقاتل بن حيان قال: كان النبي ﷺ في الصُفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سُبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم، وشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله – من غير أهل بدر – قم يا فلان وأنت يا فلان، فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم فقال المنافقون للمسلمين ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء، قوم أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم أقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾(٢) ومعنى: فَسَّحَ في المجلس: أي وسع لغيره.

قال الراغب الأصفهاني: الفُسْحُ والْفَسِيحُ: الواسع من المكان، والتَّفَسُّحُ:

---

(١) سورة المجادلة الآية (١١)

(٢) أسباب النزول (ص٤١٢) ٢٥٨٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٢/١٧). وتفسير ابن كثير (٤٦/٨) وزاد فيه: فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رحم الله رجلا فسح لأخيه". فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا، فتفسح القوم لإخوانهم، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة. وعزاه لابن أبي حاتم.

التّوسّع، يقال: فَسَّحْتُ مجلسه فَتَفَسَّحَ فيه[١].

وقال الحافظ السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل: أنها نزلت يوم الجمعة، وقد جاء ناس من أهل بدر، وفي المكان ضيق فلم يفسح لهم، فقاموا على أرجلهم فأقام ﷺ نفراً بعدتهم وأجلسهم مكانهم، فكره أولئك النفر ذلك فنزلت[٢].

وعن قتادة في قوله: (تفسحوا في المجالس) قال: كان الناس يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل لهم: (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا)[٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذلك في مجلس القتال[٤].

ومن هذه الروايات يظهر أن سبب نزول الآية: أنها نزلت في مجلس النبي ﷺ خاصة، وأن الآية نزلت في يوم الجمعة، وقراءة عاصم بن أبي النجود بالجمع (المجالس) وقراءة الجمهور في المجلس)[٥].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٣٥).

(٢) لباب النقول (ص: ٢٠٧) ذكره مختصراً، وذكره الألوسي في تفسيره (٢٢١/١٤) وعزاه لابن أبي حاتم مطولاً.

(٣) تفسير الطبري (٢٤٤/٢٣)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٥/٨) بلفظ قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر

(٤) ساق الرواية عنه الطبري في تفسيره (٢٤٥/٢٣) والإسناد ضعيف معروف بإسناد العوفيين، وذكره أبوحيان في تفسيره (١٢٧/١٠) بلفظ قال ابن عباس المراد: مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب.

(٥) كتاب السبعة في القراءات لأحمد بن مجاهد (ص٦٢٨) تحقيق شوقي ضيف ط.: دار المعارف: مصر ط. الثانية، ١٤٠٠هـ وقرأ الباقون: تفسحوا فى المجلس. واحدة بغير ألف. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٢٧٨)

وقال الإمام أبو منصور الأزهري: قرأ عاصم (تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ). وقرأ الباقون (فِي الْمَجْلِسِ) و(فِي الْمَجَالِسِ) فهو جمع: (المَجْلِس). ومن قرأ (في المجلس) فهو: موضع جلوس القوم فيه، ويقال للقوم إذا اجتمعوا في مكان: مَجْلِس(١).

والأولى القول بالعموم، وإن كانت الآية نزلت في مجلسه ﷺ خاصة فلا مانع أن تشمل أيضاً مجلس الذكر، والحرب، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب – كما قال العلماء – فإن التوسع إذا كان نزل في مجلس رسول الله ﷺ خاصة فإنه يتناول كل مجالس الخير والطاعة.

قال الإمام ابن جرير الطبري بعد ما ساق الأقوال في المراد من المجلس: {والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس النبي ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال}(٢).

وذهب إلى القول بالعموم أيضاً الإمام القرطبي فقال: {الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة، فإن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذ فيخرجه الضيق عن موضعه}(٣).

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي: إن الآية في مجلس النبي ﷺ

---

(١) معاني القراءات للأزهري الهروي (٦٠/٣).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٤٥/٢٣)، وفي المحرر الوجيز لابن عطية (٢٧٨/٥) قال جمهور أهل العلم: السبب مجلس النبي عليه السلام، والحكم في سائر المجالس التي هي للطاعات.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٧/١٧).

ومجالسنا هذه، وإن الآية عامة في كل مجلس[١].

والتوسع في المجالس هنا لزيادة المحبة والألفة والمودة فيما بينهم، ويشمل: مجالس العلم والذكر والحرب وكل مجلس طاعة، والنهي عن إقامة شخص ويجلس مكانه ولكن يتفسح[٢].

قوله تعالى: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي في رحمته أو في منازلكم في الجنة، أو في قبوركم، أو في رزقكم وفي كل ما تحبون التوسعة فيه، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ أي إذا قيل لكم انهضوا للتوسعة على المقبلين فانهضوا، والمراد هنا النهوض من المجلس.

قوله:(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا"[٣].

وهنا ملحوظة مهمة: أن الله تعالى في الآية الكريمة مدح العلماء ورفع درجاتهم لم يخصص العلماء بعلوم الدين أو غيرها ليشمل العلوم كلها – الشرعية وغير الشرعية– مادام الهدف والغاية منها خدمة الدين الإسلامي، والمجتمع الإنساني، (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ).

قال الإمام القرطبي: لما بين أن اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك، وصل به الأمر بتحسين الأدب في مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لا يضيقوا عليه المجلس، وأمر المسلمين بالتعاطف والتآلف حتى يفسح بعضهم لبعض، حتى يتمكنوا من الاستماع

(١) أحكام القرآن (٢٠١/٤) ونسبه للإمام مالك، وقال رواه عنه ابن القاسم.
(٢) ينظر الإكليل في استنباط التنزيل للإمام السيوطي (ص: ٢٥٦) بتصرف
(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم وصححه (٥٢٣/٢) ووافقه الذهبي.

من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر إليه[١].

وهذا الأدب الإسلامي الذي جاءت به الآية الكريمة يحتاج إليه الفرد والمجتمع كي يزداد التآلف والتواد والتراحم بين المؤمنين، وبيان فضل الإيمان والعلم ومكانة والعلماء ويكفيهم فخراً وشرفاً أنهم أشد الناس خشية لله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[٢]، وهم ورثة الأنبياء في العلم. ثبت في الصحيح أن الصحابة كانوا يقدمون أهل العلم.

أخرج الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح – وذلك علامة أجلك – ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول[٣].

ولا يجوز للقادم أن يأمر غيره بالقيام ليجلس مكانه لما روي في الصحيحين عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ: "أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَيَجْلِسَ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦/١٧).

(٢) سورة فاطر الآية: ٢٨.

(٣) صحيح البخاري (٢٢٠/٦/ح٤٩٧٠) كتاب التفسير باب قوله فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّك. وذكره في كتاب المغازي (رقم ٤٢٩٤)

فِيهِ آخَرُ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا"[1].

وهذا ما دلت عليه الآية الكريمة من وجوب التوسع في المجلس للقادم، وأيضا هو من مكارم الأخلاق التي أرشدنا الإسلام إليها.

وإذا قام الإنسان وهو في المجلس لحاجة ثم رجع إليه فهو أحق بمجلسه الذي كان يجلس فيه، ولا يجوز لإنسان آخر أن يستأثر بهذا المكان فإن قعد فيه فمن حق صاحب المجلس أن يقيمه وعلى القاعد أن يفارقه، والدليل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ"[2].

وذهب أهل العلم إلى جواز القيام للقادم إذا كان مسلماً من أهل الفضل والصلاح على وجه التكريم؛ لأن احترامه واجب، وتكريمه لدينه وصلاحه مما رغب فيه الإسلام؛ لأنه سبيل المحبة والمودة والألفة بين المسلمين، ولا يجوز القيام للفاسق ولا للمتكبر.

قال الحافظ ابن كثير ما نصه: "وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث: "قوموا إلى سيدكم أو خيركم"[3].، ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: "من أحَب أن يَمْثُل له الرجال قياماً فليتبوا مقعده من النار"[4]. ، ومنهم من فصل

(١) صحيح البخاري (٨/٦١/ح٦٢٦٩) ك: السلام باب لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه، وصحيح مسلم (٤/١٧١٤/ح٣١٧٧) ك: السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه. واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح مسلم (٤/١٧١٥/ح٢١٧٩) ك: السلام، باب إذا قام من مجلسه.

(٣) صحيح البخاري (٥/١١٢/ح٤١٢١)) ك: المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب..

(٤) سنن أبي داود (٧/٥١٦/ح٥٢٢٩)) ك: الأدب ، باب الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك.وقال محقق الكتاب –شعيب الأرنؤوط – إسناده صحيح .

فقال: يجوز عند القدوم من سفر، وللحاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فإنه لما استقدمه النبي ﷺ حاكماً في بني قريظة فرآه مقبلاً قال للمسلمين: "قوموا إلى سيدكم" [(١)]وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم، فأما اتخاذه ديدناً فإنه من شعار العجم وقد جاء في السنن أنه لم يكن شيء أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك "[(٢)]، ولما كان أبناء المجتمع المسلم في حاجة إلى المجالس التي يجتمعون فيها لحاجتهم إليها، ولا يمكن لهم أن يستغنوا عنها بحال من الأحوال بين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي عليهم أن يلتزموه من آداب في مجالسهم وخصوصاً عندما يكون المجلس على قارعة الطريق من: غض البصر وكفه عن النظر للمحرمات، وكف الأذى عن الناس بالقول أو الفعل الذي يتأذى به، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من الآداب الشرعية.

جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ"، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا" نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا"، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: "غَضُّ البَصَرِ، كَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ"[(٣)].

وبهذا يتضح أهمية هذه الآداب الكريمة التي جاءت في هذه السورة

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/٤٧).

(٣) صحيح البخاري (٣/١٣٢/ح٢٤٦٥) ك: المظالم والغصب باب: أفنية الدور والجلوس فيها، وصحيح مسلم (٤/١٧٠٤/ح٢١٢١) ك: اللباس والزينة باب: النهي عن الجلوس في الطرقات. واللفظ للبخاري.

الكريمة وحاجة المجتمع الماسة لهذه الآداب السامية التي جاء بها الشرع الحنيف لتعيش المجتمعات الإسلامية بل وغير الإسلامية في أمن وسلام، والإسلام دين عالمي جاء للناس جميعاً، وللخلق كافة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١)

وقوله عزوجل:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٣)، استحباب التوسعة في المجلس للقادم من المؤمنين، وأنها سبب لرحمة الله ﷻ؛ لأنه من مكارم الأخلاق. وأيضاً استحباب الاحترام والتوقير لأهل العلم والفضل. بيان مكانة ومنزلة العلماء عند الله عز وجل.

(١) سورة الأعراف الآية:١٥٨

(٢) سورة سبأ الآية:٢٨

(٣) سورة الأنبياء الآية:١٠٨

.

الخاتمة وأهم النتائج والفهارس

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فله الحمد والمنة على إتمام هذا البحث.

أهم النتائج:

١. سورة المجادلة هي السورة الوحيدة من سور القرآن الكريم التي ذكر لفظ الجلالة (الله) في كل آية من آياتها، وتكرر في بعض آياتها.
٢. أنها من السور التي ورد في فضلها أحاديث صحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم.
٣. أنها من السور التي اشتملت على أحكام وآداب تعالج قضايا مجتمعية من شأنها اصلاح سلوك الفرد والمجتمع.
٤. سورة المجادلة عالجت قضية الظهار معالجة شرعية فحلت مشكلة كانت تؤرق الأسرة المسلمة: لأنها كانت منتشرة في الجاهلية، فجعلت الكفارة لمن يظاهر من زوجته على التفصيل المذكور في الآيات.
٥. وضعت السورة الكريمة العلاج الناجع والدواء الشافي للمناجاة التي توغر الصدور، وتضطرب لها القلوب، وهي المناجاة بالإثم والعدوان، وما فيه معصية لله ورسوله، واستبدالها بالمناجاة بالبر والتقوى وما فيه طاعة لله ورسوله.
٦. التوجيه إلى التحلي بالآداب الإسلامية من:

- إفشاء السلام بتحية الإسلام المعروفة "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" وعدم استبدالها بغيرها من التحايا.
- آدب المجلس وما يشتمل عليه من آداب التوسعة للقادمين– كما ثبت في سبب النزول – والسلام على الجالسين، والقيام لأصحاب الجاه والسلطان، وأن الذي سبق إلى مكان في المجلس فهو أحق به إلا أن يأذن هو فيه.

٧. بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته عند الله عزوجل عندما تناولت السورة عن كثرة المناجاة التي حدثت من بعض أصحابه رضوان الله عليهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومنع كريم خلقه أن يرد سائلاً طلب المناجاة، فأمرهم الله بالتصدق على الفقراء قبل المناجاة.

٨. وقوع النسخ في الشريعة الإسلامية، واتفق على وقوعه جمهور العلماء خلافاً لمن منع ذلك

٩. دعت إلى عدم موالاة غير المؤمنين وبينت عاقبة موالاة المنافقين للكفار، وأبرزت نهايتهم الأليمة وعاقبتهم الوخيمة. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

١٠. وجهت المؤمنين إلى الموالاة والموادة التي ينبغي أن تكون لأهل الإيمان، وأنها توصلهم إلى أن يكونوا من حزب الله ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن المؤلف: جلال الدين السيوطي ت: محمد ابو الفضل إبراهيم. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ط. بدون رقم: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م

٢. أحكام القرآن المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي ت ٣٧٠هـ ت: محمد الصادق قمحاوي ط. دار إحياء التراث العربي بيروت ط.١٤٠٥هـ.

٣. أحكام القرآن المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي ت٥٤٣هـت: محمد عبد القادر عطا ط. دار الكتب العلمية بيروت ط. الثالثة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٤. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري ت٩٢٣هـ ط. المطبعة الكبرى الأميرية ط. السابعة ١٣٢٣هـ

٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي ت٩٨٢هـ ط. دار إحياء التراث العربي

٦. أساس البلاغة المؤلف: الزمخشري ت: محمد باسل ط. دار الكتب العلمية. بيروت، ط. أولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧. أسباب نزول القرآن المؤلف: الواحدي ت: كمال بسيوني زغلول ط. دار الكتب العلمية بيروت ط. أولى ١٤١١هـ

٨. الإصابة في تمييز الصحابة المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ. ت: عادل احمد، وعلي معوض ط. دار الكتب العلمية. ط.

٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ت ٤٦٣هـ ت: علي محمد البجاوي ط. أولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٠. أصول الفقه المؤلف: عبد الوهاب خلاف ط مكتبة الدعوة
١١. الأعلام المؤلف: خير الدين الزركلي الدمشقي ت١٣٩٦هـ ط. دار العلم للملايين ط. الخامسة عشر ٢٠٠٢م
١٢. الإكليل في استنباط التنزيل المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ ت سيف الدين الكاتب ط. دار الكتب العلمية ط.١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٣. الأم المؤلف: الإمام الشافعي ط. دار المعرفة بيروت بدون رقم طبعة- ١٤١٠هـ -١٩٩٠م
١٤. البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ت٧٤٥هـ ت: صدقي محمد جميل ط. دار الفكر -بيروت ط.١٤٢٠هـ
١٥. البرهان في علوم القرآن المؤلف: بدر الدين الزركشي ت: محمد ابو الفضل إبراهيم. ط. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ط. الأولى: ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م
١٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت: محمد علي النجار. ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. بدون تاريخ.
١٧. البيان في عدّ آي القرآن المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني ت: ٤٤٤هـ ت: غانم قدوري الحمد. ط. مركز المخطوطات والتراث الكويت. ط. أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤.

١٨. تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ ط. دار الفكر بيروت ط. أولى ١٤١٤هـ
١٩. التحرير والتنوير المؤلف: الطاهر بن عاشور ط. الدار التونسية. بدون رقم طبعة. ط ١٩٨٤م
٢٠. التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت٨١٦هـ ط. دار الكتب العلمية بيروت ط. اولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٢١. تفسير آيات الأحكام المؤلف: محمد علي السايس- ت ناجي سويدان ط. المكتبة العصرية للطباعة ط. ٢٠٠٢م
٢٢. تفسير البسيط المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي ت ٤٦٨هـ ط: عمادة البحث العلمي جامعة الإمام ط أولى ١٤٣٠هـ
٢٣. تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ت: سامي بن محمد سلامة ط. دار طيبة للنشر والتوزيع ط. الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
٢٤. التفسير الواضح المؤلف: محمد محمود حجازي ط. دار الجيل بيروت. ط. العاشرة. ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧م.
٢٥. تفسير عبد الرزاق المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري اليماني الصنعاني ت٢١١هـ ت: محمود محمد عبده ط: دار الكتب العلمية ط. أولى ١٤١٩هـ
٢٦. تناسق الدرر في تناسب السور المؤلف: السيوطي ت: عبد القادر عطا، ط. دار الكتب العلمية، ط. أولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ت: أحمد محمد شاكر ط. مؤسسة الرسالة ط. أولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢٨. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت:٦٧١هـ) ت. أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ط. دار الكتب المصرية ط. الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م
٢٩. الحديث والمحدثون المؤلف: الشيخ محمد أبو زهو ط. دار الفكر العربي. بدون رقم، ١٣٧٨هـ.
٣٠. الدر المنثور المؤلف: السيوطي ط. دار الفكر بيروت بدون تاريخ.
٣١. دلائل النبوة المؤلف: البيهقي طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط. أولى ١٤٠٥هـ.
٣٢. روائع البيان تفسير آيات الأحكام المؤلف: محمد علي الصابوني ط. مكتبة الغزالي -دمشق ط. الثالثة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م
٣٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود الألوسي ت: علي عبد الباري عطية ط. دار الكتب العلمية. بيروت ط. أولى ١٤١٥هـ.
٣٤. الزيادة والإحسان في علوم القرآن المؤلف: محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي المعروف بعقيلة ت١١٥٠هـ ط. مركز الحوث والدراسات جامعة الشارقة ط. أولى ١٤٢٧هـ
٣٥. سنن ابن ماجة في سننه محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار الفكر بدون رقم وتاريخ.

٣٦. سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ت: بشار عواد، ط. دار الرسالة، ط. أولى ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م
٣٧. السنن المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ- ت شعيب الأرنؤوط ط. دار الرسالة ط. أولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف: أبو حاتم البُستي ت: شعيب الأرنؤوط – ط. مؤسسة الرسالة بيروت. ط. ثانية ١٤١٤ – ١٩٩٣م.
٣٩. صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ت٢٥٦هـ – ت محمد زهير الناصر. ط. دار طوق ط. أولى ١٤٢٢هـ.
٤٠. صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ ت محمد فؤاد عبد الباقي بدون رقم وتاريخ
٤١. الطبقات الكبرى المؤلف: أبو عبدالله محمد بن سعد البغدادي ت٢٣٠هـ ت. زياد محمد منصور ط. مكتبة العلوم والحكم ط. الثانية ١٤٠٨هـ
٤٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ ط. دار إحياء التراث العربي بيروت بدون
٤٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ت ٨٥٠هـ ت زكريا عميرا ت ط. دار الكتب العلمية ط. اولى ١٤١٦هـ

٤٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ط. دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.
٤٥. فضائل القرآن المؤلف: أبو العباس جعفر بن محمد بن إدريس المستغفري النسفي ت٤٣٢هـ ت أحمد فارس السلوم ط. دار ابن حزم ط. أولى ٢٠٠٨م.
٤٦. فضائل القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحي بن الضريس الرازي ت٢٩٤هـ ط. دار الفكر دمشق ط. أولى ١٤٠٨هـ١٩٨٧م.
٤٧. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن المؤلف: أبو الفرج بن الجوزي ط. دار البشائر –بيروت ط. أولى ١٤٠٨هـ –١٩٨٧م
٤٨. القاموس المحيط المؤلف: الفيروزآبادي ط. مؤسسة الرسالة. بيروت ط. الثامنة ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م.
٤٩. كتاب السبعة في القراءات المؤلف: أحمد بن مجاهد تحقيق شوقي ضيف ط. دار المعارف مصر ط. الثانية، ١٤٠٠هـ
٥٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت: عبد الرزاق المهدي ط. دار إحياء التراث العربي. بيروت بدون تاريخ
٥١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي ت ٤٢٧هـ ت: محمد بن عاشور ط. دار إحياء التراث العربي –بيروت. ط. أولى ١٤٢٢هـ –٢٠٠٢م
٥٢. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة المؤلف: جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ ت أبو عبد الرحمن صلاح عويضة ط. دار الكتب العلمية ط. اولى ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

٥٣. لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف: علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن ت٧٤١هـ ت محمد علي شاهين ط. دار الكتب العلمية ط. اولى ١٤١٥هـ

٥٤. لباب النقول في أسباب النزول المؤلف: جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ ت أحمد عبد الشافي ط. دار الكتب العلمية بيروت بدون رقم ط وتاريخ.

٥٥. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الأفريقي ت ٧١١هـ ط. دار صادر بيروت ط. الثالثة ١٤١٤هـ

٥٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ت٨٠٧هـ ت حسين سليم الدار اني ط. دار المأمون للتراث بدون.

٥٧. مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية المؤلف: أبو محمد صالح بن محمد القحطاني ط. دار الصميعي. السعودية ط. أولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٥٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت ٥٤٢هـ تعبد السلام محمد ط. دار الكتب العلمية ط. أولى ١٤٤٢هـ

٥٩. المحيط في اللغة المؤلف: اسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد الطالقاني ت٣٨٥هـ ط. عالم الكتب بيروت ط. أولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٦٠. مذكرة في أصول الفقه المؤلف: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ط. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. ط. الخامسة ٢٠٠١م.

٦١. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع المؤلف: جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ " دار المنهاج الرياض ط. اولى ١٤٢٦هـ
٦٢. المستدرك عل الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥هـ ط. دار المعرفة بيروت بدون
٦٣. مسند الإمام أحمد ت شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل، ط. دار الرسالة العالمية ط. أولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٦٤. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ت٨٨٥هـ ط. مكتبة المعارف – الرياض ط. الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
٦٥. معاني القراءات المؤلف: محمد بن أحمد الأزهري الهروي أبو منصور ت٣٧٠هـ ط. مركز البحوث في كلية الآداب جامعة الملك سعود ط. اولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
٦٦. معجم البلدان المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ ط. دار صادر بيروت ط. الثانية ١٩٩٥م.
٦٧. المعجم الكبير المؤلف: أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني ت٣٦٠هـ ت حمدي عبدالمجيد السلفي ط. دار إحياء التراث العربي ط. الثانية ١٩٨٣م.
٦٨. المعجم الوسيط تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط. دار الدعوة
٦٩. معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس الرازي تحقيق عبد السلام هارون ط دار الفكر ط. ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
٧٠. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ت٣٢٧هـ ط. دار الكتب العلمية ط. أولى ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م.
٧١. مفحمات الأقران في مبهمات القرآن المؤلف: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) ت: مصطفى ديب البغا ط. مؤسسة علوم القرآن، دمشق ط. الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م

٧٢. المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني ت٥٠٢هـ ت محمد سيد كيلاني ط. دار المعرفة بدون
٧٣. مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ) ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ط. الثالثة بدون.
٧٤. الموسوعة القرآنية خصائص السور المؤلف: جعفر شرف الدين ت عبد العزيز التويجري، ط. أولى ١٤٢٠هـ.
٧٥. موسوعة فضائل سور وآيات القرآن المؤلف: محمد بن رزق بن طرهون: القسم الصحيح ط. دار ابن القيم الدمام ط. ١٤١٤هـ
٧٦. الموضوعات المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ ت: عبد الرحمن محمد عثمان ط. المكتبة السلفية. ط أولى ٣٨٨١هـ-١٩٦٨م.
٧٧. الناسخ والمنسوخ المؤلف: قتادة بن دعامة السدوسي ت: طالح الضامن ط. مؤسسة الرسالة ط. الثالثة.
٧٨. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم المؤلف: محمد عبد الله دراز ت١٣٧٧هـ ط. دار القلم للنشر والتوزيع ط ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
٧٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: برهان الدين البقاعي. ط. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ.
٨٠. النهاية في غريب الحديث والأثر المؤلف: مجد الدين أبو السعادات بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ت٦٠٦هـ: طاهر الزاوي - محمود الطناحي ط. المكتبة العلمية بيروت ط١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة وأسباب اختيار الموضوع.	٤٨٧
خطة البحث	٤٨٤
التمهيد والتعريف بالسورة الكريمة	٤٨٩
اسم السورة	٤٩٠
سبب نزول السورة	٤٩٢
مناسبة السورة لماقبلها	٤٩٧
مكان نزول السورة الكريمة وتاريخ نزولها	٧٩٨
عدد آيات السورة	٥٠٠
فضل السورة	٥٠٢
مقاصد السورة الكريمة	٥٠٢
ثانياً: التعريف بمفردات عنوان البحث	٥٠٤
المبحث الأول: بعض الأحكام الواردة في السورة	٥٠٩
المطلب الأول: حكم الظهار وكفارته في الإسلام	٥٠٩
الذي يترتب على الظهار، وكفارته	٥١١
المطلب الثاني: حكم موالاة غير المؤمنين	٥١٤
المبحث الثاني: الآداب التي اشتملت عليها السورة	٥٢١
المطلب الأول: أدب المناجاة في الإسلام	٥٢١
أولاً: أدب عام في مناجاة الناس	٥٢١
ثانياً: أدب خاص في مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم	٥٢٣
المطلب الثاني: أدب إلقاء السلام	٥٢٩
المطلب الثالث: أدب المجلس	٥٣٢
الخاتمة وأهم النتائج	٥٤٠
فهرست المصادر والمراجع	٥٤٢
فهرست الموضوعات	٥٥١

تم بحمد الله تعالى